الكتبة الثقافية

الكتابة مهنة مقرسة

نسيل فنرج



الكتبة الثقافية ١٧٥

الكتابةمهنةمقرسة





لا تزال الثقافة العربية بحاجة شديدة الى فتح نوافذها على الثقافات الأجنبية التى لم نعرفها ، أو لم نعرفها بالقدر الكافى ، والى العمل على ترجعة آداب هذه الثقافات عن لغاتها الأصلية ، وليس فقط عن الانجليزية أو الفرنسية ، التى استأثرت بمعظم جهود النقل ، منذ النهضة العربية الحديثة فى القرن التاسع عشر ، التى بدأت متأخرة نحو ثلاثة قرون عن النهضة الأوروبية ،

وعلى الرغم من معارك التحرير التي خاضتها اقطارنا العربية ضد كل أشكال الاستعمار والتبعية ، فقد كان الوعى القومى يقظا بالقدر الذي يفرق فيه بين مقاومة الاستعمار والتبعية من جهة ، وبين تقدير تراثه الإنساني العظيم ، من جهة مقابلة .

وفيما عدا أصوات السلفيين الذين وضعوا التراث الأوروبي في موضع النقيض مع التراث القومي ، ودعوا ، في مراحل الانكسار خاصة ، الى ما يعرف بالاكتفاء اللذاتي ، والانطواء على النفس احياء للماضي التليد ، فان تيار التجديد والتحديث والمعاصرة لم يحفل بهذه الأصوات (طالما انها لم تنفرد بالساحة) ، ولا بما تدعيه من دعوى الأصالة أو الخصوصية .

ذلك أن الأصالة أو الخصوصية ليست سبوى العناصر الكامنة في بنيان المجتمع وأنساقه الفكرية ، وهي ، أيضا ، الجزء الجديد الذي يمكن الأصحاب القامات العالية، الذين هضموا جيدا التراث الإنساني ، اضافته الى الانتاج المعاصر ، وهي ، في النهاية ، أصالة وخصوصية التجربة الحية ، والنظرة الى الواقع ، والتناول الفنى ، والمعنى ، والرسالة ،

لقد مضت الثقافة العربية تشق طريقها المتصل بالفكر العالمي في تجلياته المختلفة ، تترجم عن الثقافات الأجنبية بتوجيه من الظروف التي تحكمها ، واللغة التي تتقنها ، وترى في هذه الترجمة توطيدا للعلاقات بين الشعوب والأوطان ، وجسرا لتعميق التفاهم بينها ، وتبادل المخبرات • •

لكن القضـــية أو الاشــكالية التي واجهناهـــا ان الترجمة انحصرت ، عبر تاريخهـــا ، في بضعـــة آداب · وبذلك حجبت ثقافات كشيرة ، رسمية وشعبية ، تعد بالعشرات ، ان لم تكن بالمسات ، كان ينبغى ان تهتم بها الثقافة العربية ، وتقدم بعضها على ما قامت بترجمته بالفعل ، فى زمن يتفتح فيه العالم بعضه على بعض بسرعة فائقة ، وتتداخل فيه مشاكلنا العربية مع مشاكله ، مع انهيار الحواجز بين البشر والمدنيات .

وهذا ما ينبغى أن تتداركه الأقطار العربية مجتمعة ، بتخطيط ثقافى موحد ، يتم تنسيقه برؤية شاملة ، وفى وقت محدد ، بحيث تغطى الترجمة العربية التراث الإنساني ، القديم والحديث والمعاصر ، فى العالم كله ، فى أنضج تجاربه ، وأرفع نماذجه ·

لقد أصبح واضحا ان الذين يعترضون على الانفتاح على ثقافات العالم ، والتفاعل مع معطياتها الانسانية ، هم أصحاب ثقافة محدودة ، لم يطلعوا على تاريخ الحضارات في صعودها وانهيارها ، فضلا عما يدل عليه هذا الاعتراض من شعور مخامر بالضعف والناى ، يخاف من كل اتصال بالغير ، ويرى فيه فقدانا للأصالة الكتفية بذاتها ، وتهديدا لها على اقل تقدير .

 للنهضة الأوروبية الحديثة ، التي غمرت العالم بالمرفــة والنور •

وهذا يعنى اننا ــ في انفتاحنا على هذه الحضارة ــ ناخذ مما أعطينا •

ولو أننا حللنا على سبيل المثال ـ الحضارة اللاتينية ، فسنجه أنها لم ترتفع الى درجة النضج الا بفضل ما انتفعت به من الحضارة الاغريقية ، كما سنجه أن الحضارات الشرقية القديمة ، الآسيوية والأفريقية ، كان لها دورها الفعال في تكوينها ، مثلما كان لهذه الحضارة اللاتينية ، والاغريقية قبلها ، دورها الفعال في الحضارة المورية ، والحضارة الأوروبية .

وقد تحققت كل مده الصلات والتأثيرات المتبادلة عن طريق الاطلاع والحوار والترجمة ، وفي معترك الصراع الأيديولوجي للعصور ، دون أن تابه لهذه الأصوات المقيرة المجدبة ،التي لا تملك الا أن ترى في التأثر تبعية أو غزوا ، وتنكر كل مصادر اصلية ، غير معترفة بوحدة التجربة البشرية ، وتكافؤ الملكات العقلية في كل البقاع ، وتكامل المعرفة الانسانية المتباينة على الأرض ،

وليس من المبالغة فى شىء أن نذكر أن التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى نتطلع اليها فى عالمنا العربى ، من أجل أن تهب رياح الحرية والديمقراطية،

لن تبلغ آفاقها الرحبة ، وغايتها المرجوة ، ما لم تتجاوب مع التجارب المعرفية المتقدمة فى أنحاء العالم شرقه وغربه ، وقديمه وحديثه ، التى تشكل روح العصر ونبضه الدفاق ، في تجلياتها الفكرية والابداعية المتسمة بالرؤية الكونية الشاملة ، والنضج الفنى الكبير ،

ولن تغتنى الثقافة العربية ، وترتفع قيمتها على كل المستويات السابقة ، الا بقدرتها على فتح النوافذ على الثقافات الأجنبية ، واقامة جسور التواصل بينها وبين التراث الإنساني ، بما يجعل هذه الثقافات وهذا التراث رافدا من روافد التكوين ، لا غنى عنه ، ان اردنا للحياة والفكر الازدهار والارتقاء ، لا الجعود والانحدار •

ولو تاملنا هذه الحقيقة ، حقيقة الأخذ والعطاء ، او التأثر والتأثير ، وقمنا باختبارها ، فسنجد أن النهضة الأدبية في عصرنا الحديث ، منذ رفاعة الطهطاوى وسليمان البستاني في البداية ، ما كان يمكن لها أن تكون لولا تجذرها في الثقافات الإنسائية ، عبر تاريخها الطويل ، على نحو ما نلمس بجلاء في أدب أعلام هذه النهضة باتساع الأرض العربية ، كطه حسين ، والعقاد ، والمازني ، وجبران ، وميخائيل نعيمة ، وتوفيق الحكيم ، ومحمد مندور ، وكل الأسماء اللامعة في الأدب المعاصر ، في تياراته التورية الجديدة ، في القصة ، والشعر ، والمسر ، والنقد ،

اما الأدباء الذين تقتصر ثقافتهم على العربية وحدها، ولا يمتلكون لغة أو لغات غيرها ، توثق علاقاتهم بالإبداع العالمي ، وتتيح لهم استلهام كنوزه الثمينة ، فلم يستطع أحد منهم أن يقطع ... في أحسن الحالات ... أكثر من نصف الطريق ، ما عدا الاستثناءات القليلة ، التي تخترق بقوة الهامها كل المدارات .

وهذا طراز موجود فى وطننا ، كما هو موجود فى سائر الأوطان •

ذلك أن الموهبة الحية بمقدورها _ حين تصفو لها الرؤية _ أن تبلغ مواقع من الوعى والحس والجمال التلقائى ، في الصورة والبناء والتحليل والمجاز ، لا تصل اليه الثقافة المكتسبة ، مهما حازت ادوات الاطلاع الواسع، وامتلكت طاقة التطور والنماء .

نعم ٠٠ ولكن تظل هي الاستثناء الذي يؤكد ســــــلامة القــــاعدة ٠

هذه حقائق ومسلمات وبديهيات ، يتعين على النقاد تأكيدها ، كلما ضعف اتصال أدبنا وفنوننا بالتراث الإنسانى العظيم قديمه وحديثه (بكل ما يترتب عليه من انتشار الجهل) بدعوى القرمية أو الاقليمية أو المحلية ، أو العودة الى الجذور والمحافظة على الأصالة ، اذ لا تعارض بين هذا كله وبين العالمية ، بل ان العالمية شحد للمحلية ، ودفع لها لصعود القمم العالمية ، خاصة وأن بعض خيوط

هذا التراث العالمي _ كما سبقت الاشارة _ من نسيج الثقافة العربية التي مر عليها وقت كان لابد فيها للمثقف الأوروبي ، اذا أراد ألا يتخلف عن الالمام بثقافات عصره ، من أن يكون على معرفة تامة باللغة العربية ، متمكنا من القراءة بها ٠

لابد للثقافة العربية اذن أن تكون دائماً على وعى بالتيارات والتجارب الأدبية المحدثة فى أنحاء العالم ، بقدر ما يجب أن تكون محيطة بكل الأسماء الخالدة التى تعد كملامات الطريق فى تاريخ الآداب ، ابتداء من هوميروس ، لانه لا توجد قومية بدون انسانية ، كما أنه لا انسانية بدون قومية .

لذلك تؤدى حركة الترجمة ، والدراسات الأدبية التى تعقد عن الترات الانسانى ، دورا مهما في حياتنا الثقافية ، لا يقل أهمية عن حركة التأليف ، أن لم يزد •

وفي ضوء هذه الرؤية أقدم عـــذا الكتاب •

نبيسل فسرج

هوميسروس

اعظم شعراء اليونان ، واعظم شعراء التراث الانسانى على مدى التاريخ • لا يعرف شيء قاطع عن سيرته ، على كثرة ما كتب عنه ولا يزال يكتب ، وبصفة خاصـة منذ القرن التاسع عشر • كما لا يعرف شيء قاطع عن ظروف انشاء الملحمتين الخالدتين : « الالياذة » و « الاوديسا » •

ولكن من المرجح انه ، على رواية هيرودوت ، عاش في القرن الثامن قبل الميسلاد ، وربما القرن السابع ، أو منتصف القرن التاسع ، في أقصى شرق بلاد الاغريق ، على الساحل الآسيوى ، وبالتحديد في منطقة أيونيا التي تضم جزر بحر أيجه .

وهناك من الباحثين المحدثين من يشك في وجوده اصلا ، ويعتبرون « الإليادة » و « الأوديسا » مجرد

مواويل قصصية ، نظمت بدرجة عالية من الوحدة الفنية المحكمة ، قام بها عدد من الشعراء والرواة المنشدين ، ونسبت الى هوميروس •

كان ضريرا ، عاني طوال حياته من الفاقة ، فيما عدا المرحلة الأخيرة من عمره ، التي طبقت فيها شهرته الآفاق • تكسب بشعره ، ومارس تعليم النظم • ألف ((الاليادة)) و ((الاوديسما)) في شكل أناشيد تروى عن أحداث ووقائع يرجع بعضها الى القرن العاشر قبل الميلاد ، مصوغة باللهجة الأيونية •

وتتـــالف (الاليــادة)) من ١٥ الف بيـت ، و (والاوديسا)) من ١٦ الف بيت ·

ونتيجة للاعتماد على الرواية الشفوية ، التي سبقت عصر التدوين في القرن السادس ، تعرضت نصوص الملحمتين ، في تراكمها الكمي ، عبر الأجيال ، للتفيير والاضافة وعلم الاتساق ، والى تداخل الأساليب التقليدية العتيقة ، مع الأساليب الأصيلة المصقولة ، التي عبر بها الشاعر العظيم عن عصره المتطور ،

وهناك فروق جوهرية واساسية بين (الإليافة)» و ((الأوديسا)) ، تكاد تجعلهما في موضع التناقض ولهذا استدل بها على أن المؤلف ليس شخصا واحدا ،

او لا يمكن أن يكون واحدا ، بل عدة شسعراء ، عاشوا فى حقب تاريخية مختلفة ، لاختلاف طبيعة كل ملحمــة ، واختلاف مادتها ، واسلوبها ·

فالإلياذة ملحمة حربية عنيفة ، تعلى من القوة الجسدية للأبطال ، في المعارك المحتدمة ، وتصدور البطش والنهب ، بينما تعلى ((الأوديسا)) من القوة الروحية ، وتتطلع الى دعة الحياة الأسرية الهادئة ، في ظل النظام المدنى المستقر •

الا انه من المسكن ، في تفسيد نقدى ، أن يكون هوميروس قد أراد ، ببنائه الشامخ للملحمتين ، أن تكون كل واحدة مكملة للأخرى ، باعتبار ان الحياة العريضة ، أو الحضارات المتعاقبة ، تتألف ، في مجالاتها المختلفة ، من الجانبين معا : الحرب والسلم ، أو الجسد والروح •

ولو أننا سلمنا بهذا التفسير ، فسنجد على ضوئه أنه عبر فى كل ملحمة عن قيمة كلية واحدة ، من هاتين القيمتين الأساسيتين ، فى الزمن الماضى ، والزمين اللاحق •

مع هذا فثمة صيغ فنية متشابهة ، كالقاسم المسترك، تتصل باتجاه هوميروس في عرض أبطاله ، في مواقفهم الخارجية وعواطفهم الداخلية ، النابضة بالانسانية ، وتتصل كذلك بخصوبة خياله ، وتميز تشبيهاته ، واصالة وصف ، تكفى للقطع بأن الملحمتين تصدوان عن فكر واحد ، أو فلسفة واحدة ، تؤمن بالعقل ، وتتخذه ، دائما ، مرشدا لتوجيه العاطفة .

د الأتوار ٤ ، بيروت ، ٢٥ ديسمبر ١٩٨٠ .

هسسيود

من اقدم شعراء اليونان الذين تدين لهم الانسانيسة بما قدمه من أعمسال شسعرية خساللة ، تنتمى للشسعر التعليمي • لا يعرف الزمن الذي عاش فيه ، وهل كان سابقا على هوميروس ، أم معاصرا له ، أم لاحقا عليه •

ولكن من المرجع أنه عاش في القرن التاسيع قبل الميلاد ، الا اذا سلمنا بتأثره بملحمة الاليادة لهوميروس في قصيدتيه ـ الأعمال والأيام ـ وأنساب الآلهسة ـ فيكون وجوده تاليا لهذا التاريخ بأكثر من قرن •

لم تدون اشعاره كما لم تدون اشعار هوميروس الا في عهد بيزاستراتوس في القرن السادس قبل الميلاد •

وبيزستراتوس هو العاكم الذي طبق قوانين المشرع العظيم صولون (١) في تولية الفلاحين مناصب الدولة •

هبطت على هسيود الهة الشعر ، وهو يرعى الغنم، وكللته بالفار ، فتحول من الرعى الى الزراعة التى غلت مصدر الهامه ، ومادة ابداعه ، ذلك أنه خلل عمله الجديد اخذ ينظم الأشعار بوحى من الريف والطبيعة ، على نحو يتشابه فيما بعد مع الشاعر اللاتيني فيرجيل ،

وتعد قصيدة _ الأعمال والأيام _ أهم قصائد

(١) صــولون :

مشرع يوناني عظيم من اوائل الذين دافعوا ، في تاريخ البشرية الطويل ، عن حقوق الشعب الفقي ، ونادوا بالاصلاح الزراعي ... رغم انتسابه للطبقة الارستقراطية .

عاش في الينا في القرن السادس قبل السلاد فيما بين ١٤٠ ـ ٢٠ على التقريب .

سن مجموعة من القوانين تعرف بقوانين صحولون ، تمشع الحرية الاستبداد ممثلا في رق من يعجز عن سداد ديونه ، وتعمى الحرية الشخصية للفرد ، وتشرك الشعب في انتخاب من يتولون اللاصب المليا في الدولة ، وحق كل مواطن في حكم بلده .

وبهذه الشاركة يتحلق الحكم الديمقراطي في الدولة ، بدلا من حكم الاظيات والصفوة الذي كان سائدا .

والى جانب وضع هذه القوانين نظم صولون الاشسمار وعبر من خلالها عن مناهضت، الطنيسان ، ودعوته الاصسلاح السياسي والاجتماعي . هسيود التي حشدها بما ينبغي أن يقوم به الفلاح ازاء الأرض والزرع ، في المواسم المختلفة ·

كما ضمنها كثيرا من التأملات والحكم والمواعظ الأخلاقية ، التى تحض على القيام بالواجب ، والتمرس الدائم بالعمل ، مهما كان المرء متفوقا فيه ، من أجل نفع الميشر ، وتدعو الى التمسك بالعدل ، حتى يعيش الانسان سعيدا ، والابتعاد عن العنف لأن العنف يؤدى الى الغضب، والغفسب طريق يسير للشر ، يحيط به الكبرياء والغطرسية ،

وكان هسيود قد انشأ هذه القصيدة تحت تأثير الخلاف الحاد الذى نشب بينه وبين اخيه برسيس ، بسبب رغبة هذا الأخ الجشع في الاستئثار بضيعة ورثاها معا ، ولم يكن له فيها غير النصف ·

وقد ساعده على ارتكاب هــذا الفعل حاكم المدينة أو ملكهـا ٠

ومما جاء فى هذه القصيدة بيانه الواضح الأخيب بأن طريق الفضيلة طويل فى البداية ، لما يحتاج اليه من ضبط النفس ، الا أنه سهل فى النهاية ،

يقول هسميود:

(ان افضل الرجال قاطبة ٠٠ من يتأمل نفسه في كل شيء

. ۱۷ (م ۲ ـ الكتابة) ومن يتبصر بالأمور ونتائجها ومن يستمع الى النصصح البليغ • أما الأحمق اللامى عن أموره ، الذى لا يتعظ بعبر الأخسرين ، فهو امرؤ حياته وموته سسواء »

ولهسيود عدد آخر من القصائد المهمة نذكر منها قصيدة ـ درع هوقل ـ التي تأثر فيها بوصف هومروس لدرع اخيل •

وفى حديث هسيود عن النساء يحذر من الوقوع فى شراكهن الخدادع ، بالاستماع الى اقوالهن ، وهن يتخايلن بالأثواب الفضفاضة ، ولعله يقصد يعرضن مفاتنهن وعنده ان من يثق بجنس النساء كمن يثق بحاشدة من المناققين •

هذا عن الموضوع أو المسمون في خطوطه العامة العريضة • أما الشكل الفنى فواقعى ، يتخذ الهامه من الأرض لا من السماء • وداخل هـذا الاطار يتجلى للقارىء ارتباط الشاعر الحميم بالحياة الاجتماعية ، وادراكه العميق لهموم الطبقة الشعبية التي ينتمى اليها ، وحرصه على نشر روح المدنية •

³ المناء €) القاهرة ، ه٢ ديسمبر ١٩٨٠ ،

أســـخيلوس

أبو التراجيديا الاغريقية ، الذي ارتفع بها الى اعلى الستويات الابداعية ، بغضل قدرته على تطويرها ، بادخال ممثل ثالث على منصة السرح ، بعد أن كانت العروض السرحية تقتصر علىممثلين اثنين ، واختزاله لدور الكورس، الذي كان يعد ركنا اساسسيا في الأعمال السابقة والعاصرة •

ولد في اثينا سنة ٢٥٥ قبل الميلاد ، ومات في صقلية سنة ٤٥٥ ق٠م٠ وهو في حوالي السبعين من عمره ٠

لا يعرف الكثير عن حياته ، لقلة ما كتب عنه • ولكنه كان محاربا شجاعا ، أبلى بلاء حسنا فى معركة ماراثون ، التى انتصر فيها الاغريق على الفرس سنة ٤٩٠ ق٠٥ • قبل سنوات قليلة من سطوع نجمـه ككاتب تراجيدى ، بفوزه سنة ٤٨٤ ق٠م · بالجائزة الأولى عن مسرحيته « الضارعات » ·

وتروى هذه الواقعة عن شبجاعته في المعارك ، لأنه حين اتهم بافشاء اسرار الشمعائر الدينية في مسرحياته ، شفع له اشتراكه في هذه المعركة .

هذه القوانين التي تدين القاتل ، الذي تلوثت يداه بالدماء ، مهما كانت دوافعه نبيلة ، او مبرراته منطقية ·

ذلك أنه لابد للقصاص أن ينزل بالآثمين والا اختل قانون السـماء •

تميزت مسرحياته برصانة الفكر ، وفخامة الملابس ، وبلاغة اللغة • اللغة ذات الايقاع الفخم الجليل ، والاعلاء من القيم الخلقية ، وجانب الروح •

وبسبب هــذا الأسـلوب الرفيع تعرض أسخيلوس لهجوم ارستوفانيس (80٠ ـ ٣٨٥ ق.م٠) في كوميديا ((الشفادع)) ، حين قارن بينه وبين يوربيدس ، الذي اتسم فنه بالبساطة والشعبية ، ولو أن كفة اسخيلوس هي التي رجحت في النهاية ، بحـكم أن ارستوفانيس نفســه كان ارستقراطيا في رؤيته وتعبيره .

اشترك فى سن السادسة والعشرين ، سنة ٩٩٪ق٠م٠ فى مباديات الدراما التى تقام فى اعياد ديونيزوس ، وبعد ذلك فى اعياد اللينايا ٠

ومما يذكر عنه أن ديونيزوس ، اله الخمر والدراما عند اليونان ، تراءى له قبل ان يبلغ الأشد ، وهو الذى أوحى اليه بكتابة مآسيه •

ولأسخيلوس سبع مسرحيات معروفة فقط ، رغم انه من المؤكد انه كتب ما يقرب من تسمعين مسرحية ، أو خمسا وسبعين ، على خلاف بين مؤرخى الأدب •

على أن المسرحيات المعروفة ترجمت اكثر من مرة الى اللغة العربية ، في مصر خاصة ، وهي : ((الضارعات))، ((سبعة ضد طيبة)) ، ((المؤوس)) ، ((برومثيوس مغللا)) وثلاثية ((الأوريستا)) التي تتألف من : ((أجامهنون)) ، ((حاملات القرابين)) ، ((الصافحات)) .

وتعد ((الأوريستا)) أنضج هـذه الأعمال جميعا ، لأن استخيلوس كتبها في عمر متقدم ، قبل وفاته بقليل ، سنة ٤٥٨ ق٠٩٠ ، وفيها يتجلى ايمانه العميق بالقدر ، وبقوانين الوجود الصارمة التي يدان فيها المذنب بقانون السماء ، مهما كان شرف مقصده . ان انتصار أجاممنون مثلا على طروادة لا يغفر له جريمة التضحية بابنته لالهة الريح ، حتى تتحرر ســفنه مما يكبلها ، ويتحرك الاسطول البحرى •

وبناء على ذلك يلقى أجاممنون مصرعه على يه زوجته كليتمنسترا ، يعد أن دنست فراشــه ، فى غيابه ، مع عشيقها اوجيست •

وعلى الشاكلة نفسها تلقى كليتمنسترا ، القاتلة الفاجرة ، عقابها أيضا ، على يد الايرينيات (دبات العقاب)، جزاء ما اقترفت ، وذلك بأن يقتلها ابنها أوريست •

وحسكذا ٠٠٠

ويعد الكاتب المسرحي سوفوكليس (893 ـ 897 ق٠٩٠) ، الذي كان له دور في الحياة العامة في وطنه ، الامتداد الطبيعي المتطور الأستخيلوس ، سسواء في الشكل الفني ، أو الردية المسرحية ، في ابعادها الكلية ٠

[«] الأنوار ٤ ، بيروت ١٢ توقعير ١٦٨٠ -

أرســـتوفانيس

سيد الكوميديا اليونانية بلا منازع و لا يعرف على التحديد تاريخ ميلاده ووفاته قبل الميلاد و تذكر بعض الكتب انه و 20 ـ و 70 ، والبعض الآخر 250 ـ و 70 كتب نحو أربعين مسرحية ، وان لم يصلنا منها غير احدى عشرة فقط ، وبعض فقرات من مسرحيات آخرى و ومن بين هذه المسرحيات المفقودة كوميديا ـ دياتيليس ـ التى فازت بجائزة ثانية في مسابقة سنة ٢٧٥ ق م و التى فازت بجائزة ثانية في مسابقة سنة ٢٧٥ ق م و ينئة ريفية لأبوين قرويين و وهذا يفسر محافظته في افكاره، بالتوارثة ، ومجومه العنيف على الفلاسفة والشعراء بالتوارثة ، ومجومه العنيف على الفلاسفة والشعراء في رايه ، المسلمات الدينية والاجتماعية والسياسية ورايه ، المسلمات الدينية والاجتماعية والسياسية

السائدة مثل سقراط الذى هاجمه فى مسرحية ــ السحب ــ وسخر فيها من السوفسطائيين ، ويوربيدس فى ــ الضفادع ــ ونساء عيد تسموفور .

ومن المعروف ان أفلاطون (27٧ ـ ٣٤٧ ق٠م) قدم العقل على العاطفة باعتباره وسيلة ادراك حقائق الوجود الكلية ، كما يتضع بجلاء في محاورة ـ ايون ـ كما حمل في الجمهورية حملة شعواء على الشعراء ، وقدم عليهم الفلاسيفة •

أما يوربيدس فقد ضرب بالتقاليد والأعراف الموروثة عرض الحائط ، ولم يؤمن الا بالعقل وحده •

على ان أهم مواقف ارستوفانيس دعوت الحارة للسلام ، ومناهضته السافرة للحرب بين أبناء الوطن الواحد ، وتنديده بصناع الأسلحة وتجارها المفسدين الذين يدفعون بالبلاد الى الخراب والدمار ، وعلى نحو ما حدث بالفعل في الحرب الداخلية الطويلة التى قامت بين أثينا _ موطن ارستوفانيس _ وأسبرطة ، وانتهت بسقوط اليونان كلها في يد المقدونيين ثم الرومانيين ،

كذلك ندد أرستوفانيس بالمستغلين والمحتكرين الذين يمتصون دم الفقراء ، وعرض بالحياة الماجنة للأثينين وهاجم كليون حاكم أثينا هجوما عنيفا في ثلاث مسرحيات المفقودة وهي :

أهل بابيلون ٤٢٦ ق٠م ٠ الأخارنيون ٤٢٥ ق٠م٠ الفرمسان ٤٢٤ ق٠م ٠

ويحتمل أن يكون هـــــــذا الهجوم هو الذى أدى الى مصادرتها ومن ثم فقدها ·

وبالقياس الى البناء الفنى ومضمون مسرحية _ الأخارنيون _ نجد أن ارستوفانيس يحمل الفرد من عامة الشحب مسئولية ما يقع فى بلاده بحيث يتعين على كل فرد _ كما فعل المواطن الطيب دكيوبوليس _ أن يؤدى واجبه كاملا ، فيعقد بنفسه ولو وحده اتفاقية الصلح أو الهدنة مع بنى وطنه من الأعداء حين يعجز عن شبجب الحرب ، واقناع اعضاء _ جمعية الشعب _ بضرورة السلام •

واذا كان كتاب التراجيديا الاغريقية مثل اسخيلوس وسوفوكليس ويوربيدس قد استقوا مادتهم من الأساطير الشعبية فان أرستوفانيس قد استقى موضوعاته من الحياة الواقعية مباشرة ، أو خلق مادتها على شاكلة هذه الحياة، على النحو الذي يهيىء له فرصية النقد اللاذع على المستويات المختلفة ، الذي يعد هدفه الأسامى في اعماله المسرحية .

الا أن أرسمتوفانيس يتفوق على همؤلاء الكتاب الخالدين بقدرته على ابتكار المواقف الكوميدية ، وعلى رسم « النماذج » أو « الأنماط » •

[«] الساء ») القاهرة ، ١٣ نوفمبر ١٩٨٠ .

س___قراط

فيلسوف يونانى عاش فى آئينا فيما بين ٤٦٩ ـ ٣٩٩ قبل الميلاد ٠٠ كان يجوب طرقات العاصمة اليونانية ومياديثها يحاور كل ن يلقاء ويثير فكره ، معتمدا في حواره على الاستدلال القياسي والاستقراء والبراهين اليقينية ٠

ولأن شهرته طبقت الآفاق ، كاحكم أبناء عصره ، تعرض لبغض السياسيين والشعراء والصناع والخطباء ، واتهم بأنه يفسد الشباب بالنعوة الى آلهة جديدة غير الآلهة القديمة ، وانه يحيل الحجج الواهية الى حجج قوية دامفة،

وظل سقراط متمسكا بمنهجه وبايمانه بأن الحياة ، التي لا نتاملها وننمعن فيها ، لا تستحق ان تعاش •

وفى دار القضاء ، فى مدينــة اثبنا ، جرت محاكمــة سقراط سنة ٣٩٩ قبل الميلاد ، وكان قد تجاوز السبعين من عمره ، بناء على اتهام قدمه شخص يدعى ميليتوس ، مفاده أن سقراط يكره آلهة أثينا ، ويحض الشباب على الايمان بآلهة جديدة ، وأنه يتطلع الى ما فى السماء وما تحت الأرض ، ويحيل الأدلة الضعيفة ، بقوة الحكمة المقلية التى يمتلكها ، الى حجج قوية ، أى الباطل الى حجة

ولم تكن هذه الاتهامات خافية على سقراط نفسه ، لأنها كانت تعم المدينة بأسرها ، وبالطبع تناهت اليه قبل أن يمثل أمام القضاء ، أذ يقرر في دفاعه ، أنها حيكت له منذ زمن طويل *

وهذه هي القصة على حقيقتها :

كان سقراط قد علم من صديقه خريفون أن الاله ابوللون نطق باسمه في معبد دلفي ، على لسان الكاهنة بونيا ، معتبرا اياه احكم البشر ٠

وحثى يتحقق سقراط من صدق هذه النبوءة ، توجه الى عدد من الحكماء والفلاسفة فى عصره ، ممن ذاعت شهرتهم فى هذا المجال ، وقام بمحاورتهم ، ثم قصد رجال السياسة ، فالشعراء ، فالصناع ، فالخطباء ، وتيقن من همذه المحاورات أنه لا يختلف عنهم فى الجهل بكشير من الأشياء مثل : الخير ، الجمال ، الفضيلة ، الأخلاق والسيادة •

ولكن نقطة الخلاف الوحيدة التى تؤكد أنه بالفعل اكثر حكمة منهم ، وأرفع مكانة ، أن الذين حاورهم تصوروا أنهم يعرفون شيئًا ، بينما هو لا يعرف شيئًا ، بينما هو لا يعرف شيئًا ، الا أنه _ بخلافهم _ لا يزعم أنه يعرف .

ولأن ســقراط كثيف جهل كل من حــاوره أصبح بغيضا من جميع مدعى الحكمة في عصره ، الذين يتظاهرون بالعلم والمعرفة ، وهم اكثر الناس بعدا عنها •

وبذلك أعطى خصومه السلاح الذي شهروه ضده ، وهو أنه يجدف •

فى دفاع سقراط عن نفسه ، الذى أورده افلاطون ، نجه سقراط يحاور ميليتوس ،صاحب الاتهام ، ويكشف كنب ادعائه ، ويبين للقضاة او المحلفين ، وعددهم خمسمائة، تضارب موقفه ، اذ يتهم ميليتوس سقراط بأنه لا يؤمن بالآلهة مطلقا ، ثم يتهمه بأنه يؤمن بها ، ولكنه يقول ان الشمس قطعة من الحجر ، وان القمر أرض •

والقول الأخير لا يعد اتهاما على الاطلاق ، لأن كتاب الرقى الطبيعة)) للعالم أناكساغوراس ــ الذي تتلمد سقراط على يديه ــ يتضمن منذ منتصف القرن الخامس قبل الميلاد مذه المعارف بنصها ، وهي في متناول الجميع ، قبل سقراط ، لا حاجة الأحد من شباب اثينا اليه لكى يعرفه بها .

ومن يطالع محاورات سقراط يجد أنه يضع دائسا الإجابات التي يتلقاها ممن يحاورهم في سياق اسئلة أخرى ، تبين تناقضها من خلال الاستدلال القياسي ، وبحثه الأساسي عن طبيعة الشيء في حقيقته ، أو ما يصطلح عليه « ماهية الشيء » •

على أنى اعتقد أن أهم ما عبر عنه دفاع سقراط ليس دخض الاتهامات المغرضة التى لفقت باتقان ، أو تصديه السباع للجهل والجهلاء ، ودفاعه الرائع عن العقل ، وانما اعلاؤه المبكر من قيمة الموقف الذي يقفه الانسان في الحياة ، وتمسكه هو به ، بحيث تجيء الأفعال مطابقة للمعتقدات، ويعنى بها الرسالة التى يضطلع أو يلتزم بها ، طالما أنه على قيد الحياة ،

فى هذا الموقف وحده ، كما ذكر بنفســـه ، شرف الانسان ، ومن تمسك بالشرف لم يبال بأى شيء آخر

لهـذا كان من الطبيعى أن يعيش سـقراط حياة متقشفة ، فى فقر مدقع ، الى الدرجة التى يسير فيها حافيا ، رث الثياب ، لأنه وقف حياته على هدف واحد ، حدده فى الدفاع والمحاورات ، وهو خدمة الإله بتحرى حقيقة ما وصف به من حكمة ، من خـلال تحرى الحقيقـة من ذاتها .

 المحكمة ان هى طلبت منه .. مقابل اطلاق سراحه ... أن ينصرف عن هــذا الهدف ، الآنه يرى أن طاعة الآلهـة ، بمنهج حياته هذا ، أولى من طاعة البشر .

ويلغت به الشجاعة حد أن آكد لقضاته أنه ، اذا عاد الى الحياة المدنية ولم يعدم ، فسيظل يطوف بطرقات أثينا وميادينها وأسواقها ، كما كان يفعل من قبل ، يختبر كل من يقابله على المنوال نفسه ، ويثير تفكيره ازاء ما يعرض له ، ويدعوه الى أن يسمو بالروح بدلا من التكالب على الماديات ، لأن المال لا يجلب الغضيلة .

وأدين سقراط ، فحكم عليه بأن يجرع السم حتى المـوت ·

وأثناء وجوده فى السجن ، قبل الاعدام ، وضمع له عدد من اصدقائه ومريديه خطة للهرب ، ولكنه رفضها ، حتى لا تتناقض فلسفته الأخلاقية مع سلوكه ،

و الأنوار ٤ ، بيروت ، ١٤ ديسمبر ١٩٨٠ .

فرجيليوس وتيبول

يعد فرجيليوس اعظم شعراء اللاتين بلا منازع • ولد سنة ٧٠ قبل الميلاد ، في منطقة كيسالبينا ، بين جبال الألب والأبينين • وفي سنة ٥٥ ق٠٥ احتفل على عادة الرومان ببلوغه الخامسة عشرة ، بارتداء ثوب الرجولة ، وهو عبارة عن عباءة من نوع خاص • وفي الثامنة عشرة انتقل الى روما للدراسة •

بدا نظم دیوان (الرعویات) سنة ٤٧ ق٠م٠ ، وفي ٢٩ ق٠م٠ ، وفي ٢٩ ق٠م٠ انتهى من نظم الزراعیات ٠

أما (الانبادة) التى ارتبط اسمه بها فلم يبدأ نظمها الا فى سن الأربعين وهو فى قصة النضيج ، وقد استغرق تأليفها العقد الأخير من عمره على التقريب ، دون أن يتمكن من مراجعتها وتنقيحها ، وكان يقدر لهذه المراجعة ثلاث

سسنين على الأقل ، ولذلك تأهب للقيام برحلة في بلاد الاغريق تجدد ملكاته الإبداعية الفذة ، ولكنه أصيب فجأة بالملاريا أثناء الرحلة ، وتوفى سانة ١٩ ق٠٥٠ عن احدى وخمسين سنة ،

ولأن فرجيليوس كان يكتب ببطء شديد كأنه ينحت في صخر ، ولا يرضى عن انتاجه الا بعد أن يعيد فيه النظر، طلب من أصدقائه المحيطين به حرق (الانيادة) ان اختطفه الموت ، طالما أنه لن يتمكن من مراجعتها وصقلها .

الا أن الامبراطور أوغسطس امر بنشرها كاملة كما هى على النحو الذى خطها به ، ولو أن الفقرات التى كتبها فرجيليوس على الهامش أسقطت فيما عدا أربع فقرات فقط أدرجت في النص •

وبذلك حفظ رجل السلاح للتراث الانساني اثرا شعريا خالد! لا يرقى الى صرحه الشامخ اثر آخر باستثناء (الالياقة) و (الاوديسا) لهوميروس ، لم يترجم كاملا الى اللغة العربية الا في السبعينات .

وعلى شاهد القبر نقش بيتان من الشعر قالهما فرجيليوس في النزع الآخير ، يتغنى فيهما ببلدته التي أنجبته والبلدة التي انتزعته واحتوته ، مشيرا الى أعماله الكاملة التي تغنى فيها بالمراعى (الرعويات) وبالحقول (الزواعيات) وبالقادة (الإنيادة) .

وتعد هذه الأعمال ضجلا مبدعا يعكس حضارة العصر ، ماضى الأمة وحاضرها ، وما تطلعت اليه من مثل سامية ورقى بشرى •

ومن معاصرى فرجيليوس شاعر لاتينى آخر من شعراء الغزل والمجون الذين تغنوا بالحياة الفطرية البسيطة فى حقول ومزارع القرى الصغيرة التي لا يرتفع فيها غير صوت خرير الماء ، ولا يسودها الا الحب والهدوء والسلام

هذا الشاعر هو تيبول أوتيبولس ، الذي تغنى في الشعاره بكل المعاني الانسانية السمحة ، وكان بشارة بمجيء السيد المسيد •

لا يعرف بالضبط تاريخ ميلاده أو وفاته ، ولكن يرجع من الاشسارات الواردة في كتب التاريخ وقصائد الشسعراء أنه ولد سسسنة ٤٨ق٠٥٠ وتوفي سسسنة ١٩ أو ١٨ ق٥٠٥٠ عن ثلاثين سنة ٠

أتقن اللغة اليونانية مثل اتقانه للغة اللاتينية • نشر ديوانه الأول في حياته سنة ٢٦ ق • م ويتضمن عشر قصائد تبدأ بقصيدة يعلن فيها انقطاعه عن كل جهاد ، وبقاءه بجواد حبيبته ديليا ، ولو عاش عيشة الكفاف ، حيث يقول في مستهل القصيدة معبرا عن فلسفته :

« ليكدس غيرى من الذهب الأصفر ، ويملك آلاف الفدادين من الأراضى الخصيبة ، حتى يفزعه ألم مستمر لقربه من عدو ، ويحرمه لذة النوم صوت أبواق الحروب، اما أنا فلأقضين الحياة فقيرا غير كاد. ما دام ببيتى ضوء دائم » •

ويعنى بالضوء هنا الحب والمتعة والجمال .

و المساء ، ، القاهرة ، ٢٧ آكتوبر ١٩٨٠ .

آوفيست

في الجزء الثالث من كتاب ((فن الهوى)) ، أسدى الشاعر اللاتيني الخالد أوفيد (22 ق٠٩٠ - ١٨ م ٠) نصائعه الى المرأة ، حتى تحتل مكانها في قلب من يحبها ، وهى في كامل جمالها ، وتأخذ حقها العادل من هذا الحب ، في القسمة التساوية بينها وبين الرجل ٠

وقبل أن يقدم أوفيد نصائحه الى المرأة ، كان قد وجه الى الرجل ، في هذا الكتاب وفي غيره من الدواوين ، عددا من النصائح والتعاليم ، لعل أهمها عدم المضالاة في التجمل ، وأن يبدع لنفسه روحا مشرقة تبقى عالقة به حتى آخر العمر ، وأن يصقل فكره وحسه بالفنون والآداب، ويعترف من لغتها مدحر القول ، بغير اسراف في البلاغة ، وأن يؤمن بأن المثابرة والاقدام الجسور في الحب هما الطريق الذي يكلل مسعاء للنصر !

أما نصائحه الى المرأة ، فالقصود منها الا تقف في مواجهة الرجل ، المدجج بالأسلحة ، عزلاء ، بلا حراب •

وفى البداية لابد من الاشارة الى أن أوفيد نشأ فى أسرة ثرية ، وأنه كان ينظر الى المرأة نظرة واقعية ، موضوعية ، تنبع من تجربة حية معها ، أحب فيها أوفيد امرأة تدعى كورينا ، بالاضافة الى ما اكتسبه من خبرة خلال غرامياته العديدة مع نساء روما .

تدرك هذه النظرة أن المرأة ليست كائسا أو طرازا أو نمطا واحدا ، فلكل امرأة عظاؤها ، كما أن العقول ليست متماثلة في غلالها .

فكما أن من الحقول مايفل الكرم والزيتون ، ومنهما ما يغل الحنطة ، كذلك المرأة ٠٠ كل واحدة وفق طبيعتها وتكوينها ومسلكها الذي يمكن أن يصعد بها الى الذرى المالية ، بعفتها واخلاصها وتضحياتها ، ويمكن أن يهبط بها الى العالم السفلى ، بخطيئتها وأحابيلها وشرها ، مع تسليم أوفيد صراحة ، في بعض أشعاره التى قد يناقضها

البعض الآخر ، بأن المرأة تعتبر « ثوب الفضيلة واسنمها .»، لانها لا تركن في حبها الى الخداع أو المخاتلة ، مثلما يصنع الذئاب من العشاق الزائفين ، حين يغررون بمن لا يعرفن فنون الحب من الفتيات الصغيرات ، ثم يتخلون عنهن في الشواطئء المهجورة .

ورغم هذا فان اوفيد ، كرجل ، لا يخفى تعاطف مع جنسه ، عندما يغرى النساء بأن يكن الين عريك ، لا يتابين على العشاق الصادقين ، ولا يحجبن مفاتنهن عنهم ، لأنهن لن يخسرن شيئا ، ولو خانهن هؤلاء العشاق بعد ذلك !

ولاشك أن الشعر هو الذي أغرى أوفيد بهذه الدعوة، التي لا تصدر الاعن ربان الهوى وقائد قافلته ، كما يصف نفسه ، في مرحلة من الازدهار الأدبى والفنى ليس لها نظير في تاريخ اللاتين ، تألقت فيها في عصر الامبراطور أوغسطس (٣٦ ق٠٩٠ – ١٤ م) ، مع أوفيد اسماء الشميرا الخالدين : فيرجيل (٧٠ ق٠٩٠ – ١٩ ق٠٩٠) .

على أن أوفيه لا يبخل بنصائحه التي تعين المرأة على الوصال ، وهى تمثلك أسلحة الدفاع عن نفسها ، في نطاق أو حدود الحقوق المدنية التي يكفلها القانون الروماني للمرأة ، وهو قانون ، بمفاهيم عصرنا وليس العصدور

القديمة فقط ، متقدم من بعض وجوهب ، يحيط المرأة بالاحترام والاجلال •

لا يقر هذا القانون مبدأ التعدد في الزواج ، ولا يسمح بالطلاق الا في أحوال معينة ، مثل علة الزنا ، ويتيح للمرأة ان تعقد خطبتها بنفسها مع خطيبها ، ويمنحها أيضا حق فسخ الخطبة اذا رغبت ، فلا يتم لها زواج أو طلاق الا برضاها وارادتها الحرة -

ويمهد اوفيد لنصائحه تمهيدا ذكيا ، يدعو فيه المرأة الى اغتنام فرص السعادة ، قبل أن تمضى حياتها كالماء المنساب ، لا تريد موجاته ان مضت ، واذا انقضت ساعاته لا تعود ٠

ان المرأة اذا صدت في ربيع عمرها محبا غزا قلبها ، ضاعت منها السعادة الى الآبد ، ولا تلبث أن تجد نفسها عجوزا بلا دفء الحبيب ، تشيع الغضون في جسدها ، وقد ذبلت كل مفاتنها ، ويغشى الشعر الأبيض راسها ،

والحق أن المرأة في نظر أوفيه ليست مهددة فقط بالزمن ، وانما هي مهددة ، فوق الزمن ، بالانجاب الذي يقتطع من عمرها سنوات الشباب ، وتؤدى كثرته ، مثلما يؤدى توالى زرع الحقل ، الى الجفاف والهرم • وهي من الحقائق العلمية التي أثبت الطب الحديث صحتها ، وتؤخذ كدليل على ضرورة تحديد النسل ، من أجل أن تحتفظ المرأة بشبابها وحيوتها •

لهذا يبدأ أوفيد نصائحه للمرأة بالعناية بجسدها ، قبل أن تعصف به الريح العاتية ، طلبا لملاحة المظهر ، في ظل مدينة حديثة تتسم بالتحضر والرفاهية ،

وبحس دقيق بمواطن الجمال ، يرى أوفيد أنه ليست هناك طريقة واحدة للمرأة للتجمل ، ولاخفاء العيوب التي لا يخلو منها وجده ، ولو كان مجرد شائبة صغيرة ، فعلى المرأة ان تختار ما يناسبها من طرق الزينة ، كما تمليه عليها المرآة التي تطالم فيها وجهها وقوامها .

فاذا كان وجه الراة بيضاويا ، فان فرقا بسيطا في شيعرها يضفى عليها حسنا فائقًا ، واذا كان وجهها مستديرا فان كعكة صغيرة من شعرها المرفوع فوق جبينها، تكشف رقبتها وأذنيها ، يجعلها رائعة الجمال ، بينما تكتسب آخرى الجمال اذا أرسلت شعرها طليقًا على كتفيها ، أو تركته يتموج كالبحر ، أو ضفرته في جدائل ،

وهذه التسريحات التي يصفها أوفيد بريشة الفنان التشكيلي ، لم تكن كلها نابعة من خياله ، ولكنها كانت تسريحات شهيرة لنساء معروفات في التاريخ اشتهرن بها ، أو وردت قصصهن في الأساطير التي استقى منها أوفيد الكثير من أشسعاره ، ويذكرهن ، أحيانا ، بالاسم .

وبالنسبة للثياب يسخر اوفيه من ثقلها ، ومن كثرة حواشــيها وتطريزها ، ويفضــل عليها ثوبــا بسيطــا بلا أكسسوارات ، تزهو به المرأة ، فى لون السماء الصافية، أو الورد الأبيض ، أو فى صغرة الذهب ، أو خضرة ماء البحر ، حسب بشرة المرأة ، اذ أنه لا يوجه أيضا لون واحد فى الثياب يتاسب كل النساء .

وعنده أن اللون الرمادي يلائم البشرة البيضاء ، واللون الأبيض يظهر فتنة السمراء • ولعل العكس أيضا يكون صحيحا ، فمن المعروف أن الثوب الأسود الفاحم ، وليس الرمادي فقط ، يبرز جمال البيضاء •

وفى أبيات متتالية من ديوان « فن الهوى » يشسير أوفيد اشارات خاطفة الى أهمية المناحيق فى اكسساب البشرة نضارة اذا تخاذل فيها اللم ، كما يشير الى نصاعة الأسنان ، وتزجيج الحواجب النحيلة ، وتكحيل العينين ، وتنعيم الساقين ،

ويوصى أوفيد المرأة بأن يتم ذلك كله في الخفاء. وباب غرفتها مغلق عليها ، لا يراها أحد ، لسلا تبعث التأفف فيمن ينظر اليها. • « فالكشير مما يبهرنا حتى يكتمل قد يصدمنا خلال انجازه » .

ثم يقدم أوفيه باشعاره التي تحدت الزمن مجموعة من النصائح المهمة خاصة بسلوك المرأة ، وابزاز أحاسيسها الذاتيـة ٠

من هذه النصائح الا تغرق في الضحك الي حد الكشف عن منابت اسنانها ، واهتزاز خاصرتها · حسبها أن يفتر ثغرها عن ابتسامة خفيفة ، تمتزج بها رنة انثوية رقيقة و وأن تكون معتدلة فى كل أمورها ، لا تسرف فى شىء ، هادئه ، لا تنفعل أو تغضب أو تكتئب وأن تقبل على الطعام برفق ، لا تستسلم لشهيتها ، لأن مشاهدة المرأة النهمة ، أو تلك التى يغلبها النعاس فى الولائم ، يقلب حبها كرها و وأن تمشى أو تخطر خارج بيتها بين حين وحين ، معتدة فى خطوها ، على النحو الذى يثير الاعجاب فى نفوس الرجال و

وهناك مجبوعة أخرى من النصائح تتصل بمعرفة المراة للغناء ، وحفظ الأشعار ، والرقص ، ولعب النرد والسطرنج ، وغيرها مما يعزز ، في رايه ، انوثة المرأة ، وكان لا يليق بها ، في هذا العصر المترف ، أن تجهلها ، لأنه من المحتمل للمرأة أن تظفر من خلال هذه المعرفة بتلك الفنون بفتى احلامها ، وتستأثر بقلبه ، وهو غايتها وهدف الساعر من نصائحه في كتابه الخالد « في المهوى » ، الذي ترجمه الى اللغة العربية ، عن الانجليزية والفرنسية ، في لغة رفيعة المستوى ، الدكتور ثروت عكاشة ، وراجعه على الأصل اللاتيني الدكتور مجدى وهبة ، وطبع حتى على الأصل اللاتيني الدكتور مجدى وهبة ، وطبع حتى بابلو بيكاسو ،

[«] حواد ؟ ؟ القاهرة ؛ 17: ابريل ١٩٩٤ ،

القديس باستيليوس

توافق السنة المقبلة ١٩٧٩ ، ذكرى مرور ستة قرون ونصف على ميلاد القديس باسيليوس الكبير ، وسستة قرون على وفاته عن خمسين سسنة ، عاشسها في ظل الامبراطورية الرومانية ، مئذ عهد قسطنطين الأول ، حتى عهد فانس أو فالنتينيان ، أى قبل نحو مائة سسئة من العصور الوسطى ، التى يبدأ تاريخها بسقوط روما سسنة ١٤٥٣ ، وينتهى سنة ١٤٥٣ يسقوط القسطنطينية ، حيث ساد خلالها ، في العالم السيحى ، النظام الكهنوتى

 والغرب ، وهن بينها مصر وسوريا وفلسطين ، لكى يتفقد اديرتها ، ويلتقى برهبانها ، ويناقش معهم بعض أمور الدين •

وللجهاد العظيم الذى قام به القديس باسيليوس الكبير ، في حياته العملية وعبر مؤلفاته ، بهادف دحص الضلال المتفشى في الامبراطورية الرومانية ، وتحقيق اكبر قدر من العدالة الانسانية التي تنادى بها المسيحية في تعاليمها ، يقام له ، كل سنة ، عيد في الشرق والغرب ، في تلاريخين مختلفين ، اذ يحتفل به الشرق في أول يناير ، ويحتفل به الغرب في الرابع عشر من يونية ،

واذا أردنا أن نحلل صورة هذا القديس المادية والروحية ، كما نطالعها في رسومه ، ومن حوله الملائكة ،وعلى مائدة صغيرة بجانبه كتاب كبير ، هو الكتاب المقدس ، نجه عيونا عميقة المستقر ، تحملق ببصرها وبصيرتها في السماء أو الفضاء ، ووجها نحيلا متضما ، يعبر عن اللطف والوداعة ، وجسما فارعا يتشع بالسواد ، يوحى بالتؤدة والوقار ،

وككل المصلحين في تاريخ البشرية ، الذين ناضلوا من أجل التقدم ، وجاهدوا الجهاد الحسن ، تعرض القديس باسبليوس للمقاومة ، من قبل اثرياء الامبراطورية ، رغم انتمائه اليهم على نحو من الأنحاء ، قبل ان يتنازل عن ثروت ، وأملاك ، عمالا بقول المسيح في انجيل متمر :

(اذا أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك ،
 وأعط الفقراء ، فيكون لك كنز في السماء)) •

وتحقيقا لقول الكتاب المقدس أيضا : ((بعرقك تأكل خبرك)) •

في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الميلاد ، كان القديس باسيليوس يطالب بنوع من العدالة الاجتماعية التي لا تزال تحد من يرفضها بشدة ، أو يجفل من نتائجها على مصالحه، ولم يكن له من سند الا ما جاء في الكتاب المقدس • تتحقق هذه العدالة بأن يأخذ كل فرد نصيبه من كل شيء ، فقط، مكتفيا بالقدر الذي يلزمه ، لا اكثر ، أما الفائض فعليه أن يتخلى عنه لمن هم بحاجة اليه •

وبذلك لا يبقى في يقينه غنى ولا فقير ٠

تتضم هذه الدعوة بشكل صريح ومحدد في الموعظة السادسة من مواعظ ورسائل القديس باسيليوس ، حيث يقول :

((الخبر الذي تحفظه في الخبا هو ملك للجياع ،
والثوب الذي تودعه الخزانة هو ملك للعراة ، والحذاء الذي
يتلف عندك هو ملك للحفاة ، والذهب الذي تدفئه هو ملك
للمحتاجين •

وهكذا فأنت مجحف بعق جميع الذين تستطيع أن تسد حاجتهم ، ولا تفعل ذلك)) •

الملكية الخاصة اذن ، في شرعة همذا القديس ، ليست مطلقة ، بل هي مشروطة ، وحسب ، بالحاجة الضرورية ، والا انتفت هذه الحاجة ، وأي تعلق مفرط بالشيء الزائد ، شر لا جدال فيه ، ولا نفع منه ،

ومعنى هذا انه يقلل من حجم الملكية الخاصـة الى أقصى حد • ومن يتغافل عن حق الغبر فى خيرات الله يرتكب أذى فادحا ، ويصنف أيضا بين السارقين •

ومن يراجع مفهوم احد فلاسفة المسيحية الذين جاؤوا بعد القديس باسسيليوس ، مثل القديس توما الاكويني (١٢٢٥ ــ ١٢٧٣) ، لموضوع الملكية الخاصة ، يلاحظ تأثره المباشر بأفكار باسيليوس ، فقد كان الاكويني يرى أن الملكية الخاصة مشروعة من ناحية مجرد الحيازة . ولكنها عامة من جهة الانتفاع ،

كذلك يرى القديس باسيليوس بجلاء تام ان العقاب دائما من جنس العمل • من لم يرحم ، لا يرحم • من لا يفتح بيته ، يقص عن ملكوت السماء • ومن لم يطعم خبزه ، لا يرث الحياة الأبدية •

وعلى غرار ما جاء فى الانجيل من انه يعسر على الغنى أن يدخل ملكوت الله ، وأن مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غنى ملكوت ألله ، تشب أقوال القديس باسبليوس عن أدراك حاد للجشيع الذي يصيب الأغنياء أزاء الذهب ، بحيث يفقدهم رشياهم ، ويقصر مخيلتهم باتجاهه وحده ، تحت تأثير نفسى لا يقاوم • ذلك أن محبة المال ، كما جاء في رسيالة بولس الرسول الأولى الى تيموثاوس ، أصل لكل الشرور •

لهذا كان القديس باسيليوس لا ينى يدعو الأغنياء ان يفتحوا بيوتهم ، ويوزعوا أموالهم على بيوت الفقراء ، كما تشق آلاف الأقنية الحقول العريفة المترامية ، وتتورع بها مياه النهر الكبير ، لتسقى الأرض ، وتخصب الزرع .

وبمثل هذا الفعل الايجابي المريد يتحرك المال ، ويصبح مثمرا ، لا مجمدا داخل الصناديق ، ولو انه يرى، في اكثر من موضوع آخر ، ان تجميد المال في الخزائن ، والفقر سائد ، يعرضه للانفجار والتقويض ، بالثورة الشعبية المحتومة للفقراء

ولم يكتف القديس باسيليوس بحض الأغنياء على التنازل عن أموالهم الزائدة المكدسة للفقراء ، لتحقيق أحلام الانسانية ، بل انه أقام أيضا ، على المستوى النظرى ، مدينة فاضلة ، أو فردوسا أرضيا ، عنى فيه بالجوهرى الذى تمثله ، من بعده ، عدد من الفلاسفة ، الذين أقاموا مدنا فاضلة ، تخلو من النقص الذى تعانى منه المدن القائمة ،

هذه المدينة التى شادها القديس باسيليوس عبارة عن بيت كبير في حجم المدينة ، يأوى اليها المريض والعجوز والضال والغريب والتلميذ والعامل .

وفى وسط هذه المدينة الجديدة التي تتخطى وتفضح مدننا القديمة الشائهة ، تقام كنيسمة للصلاة ، يقوم على ادارتها الرهبان ، أولئك الذين يمهدون في يقينه للحضارة الإنسانية المقبلة .

غير أن هذه المدينة ليست أبنية وخدمات وصلاة فقط ، وانما هي ، من قبل ومن بعد ، عمل ، يتحتم على الجميع انجازه بأعلى درجة من الجودة والاتقان ، حتى تزيد الثروة المادية ، ويتطور الانتاج ، بفضل تنمية مواهب العاملين ، كل عامل حسب ما تهبه الطبيعة من استعدادات فطرية ومكتسبة ، وحسب ما يمتلك من ملكات ،

وبحكم ان هذه المدينة من تصور رجل دين فى المحل الأول ، لا رجل سياسة ، فهى لا تعمل للطعام الفانى . ولكن للطعام الذى يدوم بالايمان العميق فى الحياة الأبدية.

ويومىء عدد من الذين تعرضوا للقديس باسيليوس الى ان هذه الأفكار المتقدمة التى جاء بها ، أخذت بها أو بمعظمها على الأقل المجامع الدينية ، ونصت عليها الوثائق الثابتة التى ترى أن استخدام الانسان للخيرات

يجب أن يتم باعتبارها ملكية عامة ، تعود على الجميع بالنفع ، لا ملكية خاصة ، يستأثر فيها الفرد الواحم، دون الآخرين •

ان تعاليم القديس باسيليوس الكبير ، التى استقيت مباشرة من تعاليم السبيد المسيح ورسل المسيحية الأوائل، تؤكد ما في الأديان السماوية من انسانية ، تزرى بكل محاولة لتنكب طريقها •

لذلك تعد هذه التعاليم ، بما انطوت عليه من دعوة طيبة للخير ، قوة من قوى التقدم في العالم المعاصر ، لا ينبغي طرحها أو التهوين من شأنها ، طالما أن النظرة اليها تتسم بالوعي ، والالتزام ، والموضوعية .

د الاتواد ، ، بيروت ، ٢٨ ماسو ١٩٧٨ .

موليسسير

وعلى الرغم من مرور هــنا الزمن الطويل ، لا يزال موليير يعد اعظم كتاب الكوميديا في العصور الحديثة وفي العالم أجمع ، ولا يزال انتاجه ، حتى هــنه اللحظـة ، نابضـا بالحياة ، كانه صادر عن كاتب معاصر ، نافذ البصيرة ، قادر على رؤية ورصد العيوب الاجتماعية الخفية والشائعة ، ومواطن الاعوجاج في الشخصـية ، من أجل تخليص الانسان والجتمع من سخائمها ،

ولد جان باتست ، الذي عرف فيما بعد باسمه الأدبى موليد ، في حي من أحياء باريس الشبعبية ، البوين على جانب من الثراء ، وفي من العاشرة أو الحادية عشرة ــ

دم (م (م الكتابــة)

على اختلاف بين المؤرخين ـ توفيت أمه التي ورث عنها رهافة الحس • وفي مـذا العمر المبكر كان جه، يصحبه لمشاهدة المهرجين في الأسواق ، حيث تلقى أولى بذور الفن •

وبعد أن أثم دراسته للقانون خالف رغبة أبيه وأقاربه ، ورفض الاستغال بالمحاماة ، لئلا يواجه ((التواءات العدالة » و ((الدعاوى الربكة »)!

اتجه موليد بكليته الى المسرح . فكون سنة ١٦٤٣ فرقة مسرحية جابت ريف فرنسيا المترامي سيرا على الأقيدام ، أو فوق الخيول ، وموليد أحد ممثليها المغمورين ، ينتهزون ايام الأسيواق والأعياد الشعبية والوطنية لكي يقدموا عروضهم تحت أقسى الظروف .

وفى غضون هذه المرحلة الممتدة حتى سنة ١٦٥٨ التحم موليد بالطبقات الشمبية ، واكتسب على الطبيعية خبرة مسرحية عالية بما يقبل عليه الجمهور ، وما يعرض عنه ،

وما أكثر ما كان عنه مزورا ! •

كما انتفع موليد الى أقصى حد بمخالطته للبيئسات والطبقات العالية ، التى أدت معرفته الناقذة لها ، المقعكسة في أعماله المسرحية ، الى الاصطدام بالمجتمع والكنيسة ،

غير أن الحياة لم تمض بالفرقة على وثيرة واحدة · ففى السنة الأولى تعرضت للقشــل وسخريــة الجمهور الباريسي · واضطرت الى أن تستدين لكى تواجه الأعبــاء

المالية ، وتعرض موليير للسجن ثلاث مرات ، بناء على رغبة دائنيه ، لاذلاله والتشفى منه ، الى أن اضطر الأب الى تسديد ديون ابنه .

وبعد تجارب عديدة في تأليف المشاهد الغنائية الحية، في مقاطعات الريف الفرنسى ، على شاكلة الكوميديا ديللارتى ، وهى طراز خاص من السرح المرتجل ، بدا موليي في سنة ١٦٥٥ أو قبلها بقليل ، وهو في الثالثة والثلاثين ، كتابة أولى كوميدياته الكبيرة ، مستهلا بها مرحلة من التأليف والاخراج والتمثيل استغرقت ما يقارب الها ١٨ سنة ، وانتهت بنهاية حياته ، مغضوبا عليه من الكنيسة ،

والكوميسه يا ديللارتى تيار فنى عظيم ، ازدهر فى ايطاليا فى القرن السادس عشر ، ثم فى فرنسا وارجاء اوربا ، وتأثر به ، غير موليد ، عدد كبير من كتاب وفنانى الكوميديا فى انحاء العالم ، بما فيه مصر ،

وهمنه الكوميديا تتميز بالبساطة وقوة التأثير ، وتعتمه ، في تصوير الشخصيات النمطية ، على الارتجال، والتهريج ، والكاريكاتير ·

ويعتبر معظم النقساد أن مسرحيسات مولير : « المتحدلقات » ، « سمجاناريل » ، « مدرسة الأزواج » ،

« تارتوف » ، « البخيسل » ، « دون جوان » ، أهم مسرحيات مولير ، وأوفاها تمثيلا لخصائصه الفنية ، وروحه المرحة الساخرة ، وقدرته على تحليل الشخصيات ، وتحريكها عبر الكوميديا التي تتخللها نغمات الماساة ، والفكر الواعي ، والمساني الإنسانية ، والهدف الإخلاقي الذي ترمى اليه ، بوضع العيوب الاخلقية والإجتناعية في داؤة الفوء .

دالالوار ٤٤ پيروت ٤ ه قبراير ١٩٧٢ ،

وردزورث

أكبر شعراء الحركة الرومانتيكية في القرن التاسيع عشر ، التي نشات مناهضة للثورة الصناعية ، ولعقلانيية المصر ، وكلاسيكيته الأدبية ٠

ولد في كمبرلاند سنة ١٧٧٠ ، وهي مقاطعة صناعية وظل على صلة حميمة بالحياة الريفية في بلاده ، التي عاش فيها مرحلة الطفولة ، لم تفب عن عينيه يوما • وجاءت اشماره الغنائية متأثرة بالطبيعة ، معبرة عن عواطفيه واحاسيسه الفياضة نحوها ، على امتداد العمر •

اما حياته العامة فكانت مكرسة فترات طويلة للعمل السياسى المباشر ، من خــلال كتابة المنشورات التى تدعو للنظام الجمهوري في ظل سطوة الملكية الوطيلة • وهــذا دليل على أن الحركة الرومانتيكيــة لم تكن ابتعادا أو هربا من الحيــاة ، وانما كانت اعلاء من قيمــة الفرد ، وفي مواجهــة كل الضغوط التي يتعرض لها ، من صخب المدن ، وضجيجها العالى ·

تصدر اشعاره عن الخيال ، وتغتنى به ، باعتباره التدر على النفاذ الى صميم الأشياء ، واستشفاف الحقيقة الكلية ... لا الجزئية ... في الواقع الماثل ، أو ما وراء الواقع •

لم يكن وردزورث يفرق بين لغة الشعر ولغة النثر الا من ناحية الوزن فقط • لهذا كانت لغته ، على جمالها. وريبة التناول ، من تلك اللغة الدارجة التي يستخدمها الناس ، بعد تصفيتها من الشوائب التي تحجب صفاءها •

كما لم يكن يرى فرقا بين الشاعر وسائر الناس الافى دقة الحس ، وعمق البصيرة • لذلك كان يتطلع الى أن تشارك الانسانية الشاعر في انشاده ، أى في مشاعره و تجاربه ، وهي في حالة الاستثارة •

وخلافا للشعراء والأدباء الذين تروى القصص عن ثقافتهم ، وسعيهم نحو المعرفة ، لم يكن وردزورث قارئا نهما للتراث الانساني ، ولم يكن يتحرج ، في نفس الوقت. من أن يقول في مقدمة أحد دواوينه ، عما يتضمنه كتاب الشعر الأرسطو ، « بلغني » أو « علمت » •

ولكنه ، بالمقابل ، عوض هذا النقص بموهبة فلة . تستطيع ، على حد تعبيره ، أن ترى في حبة الرمل عالما كاملا ، وأن تملأ قبضة يدها باللانهاية ، وتجمع الأبدية في ساعة واحدة •

اصدر عدة دواوين . منها « المقدمة » وهى قصيدة طويلة يتحدث فيها عن سيرته · واشترك مع كولردج فى ديوان « مقطوعات قصصية غنائية » الذى اتسم ببساطة الموضوع والأسلوب ·

فى سينة ١٨٤٣ توج فى البجلترا أميرا للشيعراء ــ « شاعر بلاط الملك » • وتوفى فى سنة • ١٨٥٠ عن ثميانين سينة •

ومن اشسعاره :

قسوس قسزح

يقفز قلبي عندما ارى قوس قرح فى السماء : كما كان حين بدأت حياتي ، وكذلك الآن وأنا رجل ، وعندما اتقام فى العمر ، أو أودع الحياة • فالطفل أبو الرجل ، وأتمنى أن تصبح أيامي مرتبطة ، بعضها ببعض ، بعبادة الطبيعة •

ه الأثوار » 4 بيروت ، ٢٩ تولمبر ١٩٨١ .

كولــــردج

مند مائتی سنة ، وبالتعدید فی الواحد والعشرین من اکتوبسر ۱۷۷۲ ، ولد لقسیس فی قریسة ((اتری سنت میری)) فی انجلترا طفل موهوب ، هو صلمویل تیلور کولردج ، اللی قلد لاسلمه فیما بعد آن یمسلاً اوروبا الغربیسة •

وفي الخامس والعشرين من يوليو ١٨٣٤ توفي عن الثنتين وستين سلة • دون أن يتكافآ مداها وامكاناته الزاخرة مع حجم انتاجه ، لأنه لم يعرف الاستقرار ، لا في حياته المواجبة ، فضلا عن أنه قضى الجزء الأخير من عمره يعانى أهوال مرض كان يستعين على تحمل آلامه بتعاطى الأفيون كمسكن ، أو قدح زناد الفكر المجرد ، وسبر أغواد الخواطر اللهنية المتصلة بلغز العالم وتناقضاته •

تنقسم حياة كولردج الأدبية الى ثلاث مراحل • ساد في المرحلة الأولى ، والنفس بالغة الحساسية ، الشعر ، الذي انتهى على التقريب سنة ١٧٩٨ ، باصدار ((مقطوعات قصصية غنائية)) مشتركة مع الشاعر وردزورث •

وفى هذه المرحلة قدم كولردج أعظم انتاجه الشعرى الذي وضع اسمه في مصاف الشعراء الخالدين ·

ولعل قصيدة ((اللاح العتيق)) الكبيرة ، التي كتبت سنة ١٧٩٨ ، أو قبلها بفليل ، أن تكون أهم قصائده على مستوى الشحر الانجليزى ، وأكثرها تعبيرا عن خياله المخصب المتحرر ، واحساساته المؤثرة ، واحاطته الثاقبة بحقائق الطبيعة الانسانية ، والأحداث ، والوجود في شكل موحدة يضم في اهابه الكثرة ، ويبتعث في النفس اللذة ، أو على حد تعبيره ((الفيطة الروحية)) .

ذلك أنه استطاع في هله القصيدة ، وفي معظم اشعاره ، أن يحيا فيما هو كلى ، يشمل العالم الخارجي ، لا ما هو فردى ذاتى ، وأن كانت الذاتية عنده المنطلق الذى تنشأ منه كل المعانى الإنسانية العامة ،

اما المرحلة الثانية فقد اتجه فيها بكل معارفه وخبراته ووعيه الى النقد الأدبى . حتى اعلن فى سنة ١٨٠٣ أنه اصبح يجد مشقة بالغة فى تألبف الشعر ، بعد أن هجره .

 والعرضية للكاتب ، خاصة في مجال الشعر الذي ينهض على الوحدة العضوية ، والتي أفاد منها كل الذين حملوا على الشعر التقليدي في شعرنا العربي المعاصر .

كما ينبىء نقد كولردج عن استبصار تام بالفروق الدقيقة بين الموقف الشعرى والحقيقة الشعرية ، وعنصر الخيال في التجربة الفنية الذي يحطم لكي يبني من الداخل •

ونظرية كواردج في الخيال كانت بمثابة منعطف جديد في النقد الانجليزي الذي يرفع من قيمة العقل وحده.

ومن يقرا ((نقد كولودج لشيكسيد)) يلمس عمق ووضوح التناول ، وسلامة النوق الخلقى ، وثراء الدلالة، والانطباعات النفسية الملهمة ، الى جانب الاهتمام بمعنى اللفظ والوزن والموسيقا والعاطفة والبناء التشكيلي النابع من نشاط الموهبة •

ولهذا يعد كولردج فى تاريخ النقد الانجليزى المعاصر كأحد المالم القليلة البارزة ، منذ أرسطو فى القرن الرابع قبل الميلاد ، حتى ت س اليوت فى القرن العشرين ·

والطريف أن جزءا مهما من نقد كولردج كان عبارة عن سلسلة محاضرات عامة ، مرتجلة أو مدونة ، فقد معظمها ، ولم يصلنا الا ما طبعه في كتب مثل ((سميرة الدبية)) ، وما نشره في الصحف ، أو خلفه من مذكرات ، قام بتدوينها ، أو دونها من استمعوا الى محاضراته ،

وتحت تأثير الآلام المبرحة للمرض ، وبعد رحلة الشعر والنقد ، غلبت التأملات العقلية والنفسية كولردج ، هذه التأملات التى نجد بدورها منبثة في كتاباته النقدية ، ومن ثم اتجه الى الفلسفة والميتافيزيقا والدين ، في اتجاهات يسربلها الغموض ، وقد كان يرى أن معرفة الله بروح الإيمان المسيحى ، بالحدس ، هي المدخل الى اية معرفة الخرى ،

ولا أحد يستطيع أن ينكر أن كتاب كولردج ((عون على التامل)) سنة ١٨٢٥ . الذي أعلى فيه من قيمة الارادة والماطفة ، شارك في تطوير الفكر الانجليزي ، وأن جون ستيوارت مل كان محقا حين وصف كولردج بأنه ((كان الموقط الأكبر لروح الفلسفة في هذا البلد)) *

ويعد كولردج بدعوته لتحليل اللغة تحليلا فلسفيا واضع أساس الوضعية المنطقية التى حمل عبء الدعوة اليها في مصر . وغيرها من البلاد العربية ، الدكتور زكى نجيب محدود ، نتيجة لما لاحظه من افراط في استعمال اللفظ في شتى المجالات ٠

ومثلما يرقى نقد كولردج الأدبى الى مستوى شعره المرموق ، كذلك لا تقلل فلسفت فى الدين والسياسة والأخلاق عن نقده الأدبى او شعره .

وللشاعر الانجليزى الخالد مذكراته المهمة التى دونها فى فترات مرضه المتقطع ، أو فى الأوقات التى لا يستطيع أن ينجز فيها أى عمل • تطرح هـنه المذكرات فيما تطرح مفهوم كولردج للخيال الأدبى ، باعتباره أهم عناصر الخلق الفنى ، مبينا الفرق بينه وبين التوهم •

فالخيال عند كولردج وليد العقل والادراك الشبامل للأشياء • ولهذا يعتبر القوة الحيوية الخلاقة التي تحقق الوحدة العضوية للعمل الفني ، وتحفظ له توازنه الخاص، والا بدا كالشتات الذي لا يخضع لأي منطق •

على حين ان التوهم لا يعدو ان يكون حالة من حالات التذكر ، التي لا تتقيد بزمان أو مكان ، ولا تلتزم الا بمجرد تداعى المعانى الحر •

ومذكرات كولردج لا تقتصر على الخيال الأدبى ، بل انها تعرض أيضا المبادىء النقدية الجديدة التى نادى بها فى ضوء تجربته الشعرية الفذة .

وتمثل ها ما المسادى علقة كبيرة فى تاريخ النقد الانجليزى ، تتخطى مراحله الكلاسيكية ، التى تفصل بين اللفظ والمعنى ، وتعتبر الوزن عنصرا شكليا بحتا ، لا عنصرا جوهريا فى صميم البناء الفنى ، يؤكد معانيه ، ويزيد من حيوية المشاعر ، وحساسية الانتباه التى تستثيرها وحدة الايقاع ، وتشابه عناصره .

ه المساء ٤ ، القاهرة ، ٢٦ مايو ١٩٨١ -

بو**دلــــ**ير

وافق التاسع من شهر آبریل الساضی ، ذکری مرور ۱٦٠ عاما علی میسلاد الشساعر الفرنسی شسارل بودلیر ۱۸۲۱ ــ ۱۸۲۷) ۰

وعلى الرغم مما تعرض له بودلي في حياته من رفض الحركة الأدبية والمجتمع الفرنسي له ، الا أن الدراسسات النقدية ، والرسائل العلمية التي عقدت بعد ذلك عن حياته وشعره ، تفوق في حجمها كل ما كتب عن الشعراء التقليدين الماصرين له ، الذين تمتعوا بتقدير الأوسساط الفنيسة هاتيك الإيام •

ولعل أهم هـذه الدراسات والرسائل ، في المكتبـة الغرنسية ، ما يتناول مفهوم الشر في شعره ، وموقف من المرأة والروح والايسان ، وما يتناول شخصيته السادية ،

التى تنعكس بوضوح فى شعره ، وخصائص عالمه الشعرى المتفرد ، والجماليات الفنية الجديدة _ بمعنى الابتكار _ فى استخداماته اللغوية ، التى كان على وعى بالغ بها ، كما كان على وعى بالغ بقيمة الملكات التى يدخرها ، والهدف النهائى الذى يتطلع اليه فى تغنيه بالجمال البشع ، طالما أن هاذا التغنى يقلل من قبح الكون ، ويخفف من عبء الزمان •

وهذا الوعى يؤكد أن الشعراء العظام ينطوون في اعماقهم على تقاد عظام • يقطع بذلك دراسات بودلير بصفة خاصة عن ريتشارد فاجنر وفيكتور موجو ، التي جعلت منه تاقدا أدبيا وفنيا ، يهتم بالفنون التشكيلية وينقدها نقد المتخصصين ، فضلا عن مذكراته الشخصية، ومقالاته المتنوعة التي جمعت في مجلدين ، المجلد الأول يحمل عنوان ((طرائف جمالية)) ، والناني ((الغن الرومانسي)) •

على ان الثورة اللغوية التى قادها بودلير ، ممثسلة في جرأته على استخدام الألفاظ والتصابير الفظة المبتدلة ، التى تبدو متنافرة في تراكيبها ، وما يحتشد في شعره من صور مقززة ، كانت وجها من وجوه ثورته على التقاليد الاجتماعية الزائفة ، والمقاهيم الموروثة البالية ، وما تحفل به الحياة القائمة من بغض وظلم والم وحشى وحرمان وعناء وياس ورعب و (ظها لا ينطقيء)) ،

لهــذا كان بودلير يرى أن الشــاذ غير المتوقــم ، والمناقص ، والمدهش ، والطارىء ، يمثل الجمال الحقيقى ، الكامن في جوهر الأشياء ، ويعد عنوانه الصريح .

اما الجمال المسألوف ، المتفق عليه ، الذي لا يخرج عن القواعد ، فليس له شخصيية خاصة ، وهو ، بهذا الاعتبار ، يثير السأم في النفس ، ولا يعدو أن يكون عدما ، لأن شرط الحياة زال عنه ٠

ان الشعر لا يرصد ويلاحظ القائم ، بل يصححه ، ويتفهم ما تهمس به الأشياء الخرساء ، ويلمس قاع المجهول • وحتى يتحقق ذلك ، لا مفر من استبعاد مفهوم الأخلاق ، كما طرحه الرومانسيون ، عن نطاق الشمر ولابد من التضحية بالتفاصيل من اجل الاهتمام بالشكل العمام •

فى اطار هذا التصدور كان بودلير يدافع عن حب المرأة الحمقاء . لأن الحمق يصدون الجمال ، ويضغى عليه الزينة الأخاذة ، كما يغلف الصفاء المستنقعات السوداء •

مله هي رؤيته في ديوان ((**أزهسار الشر**)) ، الذي صدر سنة ١٨٥٧ ، وبودلير في نحو السادسة والثلاثين من عمره ، محققا له المجد الأدبي ، رغم أن المحكمة التي مثل أمامها بتهمة الاساءة الى الأخلاق العامة والأخلاق الدينية حكمت بتغريمه ثلاثمائة فرنك . وحدف ست قصائد من الديوان ، لم تنشر بعد ذلك الا سنة ١٩٤٩ .

ويلخص بودلير اتجاهه أو تجربته الفنية في احدى قصائده قائلا:

(انتم كونسوا شسساهدين انى قسد اديت واجبى كالكيميائى المتمكن ، كالروح السامية ، قد استغرجت من كل الأشياء جوهرها • قد اعطيتنى وحلك ، وصنعت منه ذهبا » •

والتضاد او التعارض في الوجود ، في اعسال بودلبر الشعرية ، ليس تعارض العناصر المتباعدة ، المنفسلة ، المستقلة بذاتها ، وانما هو تعارض العناصر المتداخلة في البناء الواحد ، حيث تختلط العناصر ، دون أن تستطيع أن تتبين فيها الخير من الشر ، أو الجميل من القبيح ، أو الباءة من الاشتهاء ،

وهذا يقتضى قراءة من نوع خاص لشعره ، لا نقف فيها عند سطح المسانى ، فنقابل ، مشلا ، بين الوحل والذهب ، أو بين الأرض والسماء ، وانما يجب أن نتغلنل في النص ، ونقرأ الذهب في صميم الوحل ، والمضمون الروحي في سعير الحس -

وبوداير ، بأساوبه ومضمونه ، نسيج وحده في الشعر

الفرنسى ، يجمع بين وضوح الكلاسيكية ، وغموض الرمزية. وثورة الوجدان الرومانسي •

ويرجع عدد من النقاد الفرنسيين فكر بودلير، وتشتت حياته ، الى تمزقه بينالرغبات الحسية ، او جحيم الخبرة والانفعال ، وبين الايمان الروحى الكاثوليكى ، الذى كان يفجر فيه الحنين الحزين ، اى الصراع بين حماة الأرض ، وجنة السماء ،

أما عن الأوزان الشعرية فقد استخدم بودلير الأوزان البسيطة المكثفة • وفي أخريات حياته كتب الشعر المنثور •

[«] الاتوار » ، بيروب ، ۲۷ يوليو ۱۹۸۱ .

دوســـتويفستي

بدأت الأوساط الأدبية فى الاتحاد السوفيتى تحتفل هذه الأيام بذكرى مرور ماثة وخمسين سيئة على مولد الكاتب الروسيفيودور دوستويفسكى (١٨٨١ ١٨٨١)٠

والقراء العرب يعرفون دوستويفسكى جيدا ، من خلال قصصـه ورواياته العديدة الترجمـة ، والتى أعد بعضها للسينما أو السرح أو التليفزيون •

وعلى الرغم من الدراسات النقدية المتزايدة عن هذا الروائى ، فلا يزال تراثه الانسانى ، الذى يشخل فى الطبعات الروسية اثنى عشر مجلدا او اكثر ، أكبر واعمق من كل ما كتب عنه • كذلك تظل شخصية دوستويفسكى الذى عاش حياة حافلة مضطربة ، أغنى من كل ما عقد عنها من كتابات •

ذلك انه فى صباه مر بثلاثة أحداث كان لها تأثيرها العميق فى نفسه : وفاة أمه البتى كانت قطعة نادرة من الحنان ، ووفاة شاعره الأثير بوشكين مقتولا ، ثم مصرع أبيه ، الذى كان يكن له بغضا شديدا ، بيد الفلاحين فى الحقول ، انتقاما من سراشته وسدوء معاملته لهم ، ثم انقلاب هذا البغض فى نفس الابن الى حب طاغ يؤنب ضميره ، ويمزق اعماقه ،

أما السنوات التالية لتخرجه من مدرسة الهندسية سنة ١٨٤٢ ، فقد عانى قيها مشقات بالغية . اذ خالط الطبقات الفنائمة البائسة ، في الأحياء القنرة الشبومة ، والمليئة بالسكرى ، وعرف الجوع بسبب لعب القصار ، الذي أوقعه في الاستدانة .

الا انه اكتسب وعيا بالغا بالمجتمع انعكس بشكل خلاق في روايته الأولى « الفقراء » التي كتبت سنة ١٨٤٥، وتلقاها الشاعر نكراسوف والناقد بيلنسكي باعجاب شديد ، لاتجامها المباشر الى الشعب الفقير ، من سكان الأقبية المعتمة ، ولعمق الأحاسيس الانسانية لشخصياتها القلقة المعذبة المظفومة التي تثير الشفقة .

ونكراسسوف ، الشاعر والناشر ، عميسه المثقفين الروس ، الذين حققوا مجدهم بارتباطه بالحياة والواقع ، ودفاعه عن العدل والتقدم •

أما بيلنسكى فهو كبير نقاد روسيا في هذا العصر . صاحب الدراسات العميقة في الأدب الروسي ، التي دافعت عن القومية دفاعها عن الانسانية ، والذي كان يملك فتح باب الشهرة للكتاب والشعراء في بلاده .

ومع هذا هوجمت رواية دوستويفسكى الثانية «المتل» والثالثة « الجارة وأقاصيص أخرى » من عامة الكتاب والنقاد ، مما انذر بسقوط دوستويفسكى ، اللى تراكمت ديونه ، وألم به المرض ، فهام على وجهه ، يعانى نوبات الصرع والتجهم ، مستشعرا النربة والاهوال الى حديقترب من الجنون •

في هذه الأيام من سنة ١٨٤٩ اشتدت قبضة السلطة القيصرية على المجتمع الروسى ، وقبض على دوستويفسكى في بيته بتهمة سياسية ، هي المشاركة في اجتماعات طائفة من المتمردين ، واقتيد الكاتب الخالد الى المعتقل مكبلا بالإغلال مع العشرات ، وقضى ستة اشهر حكم عليه بعدها بأربع سنين أشغالا شاقة ، كانت رهيبة للغاية ، بحيث بعلته ، من بعد ، لا يهاب شيئًا في العالم ، لأنها قتلت في نفسه ، وهو خارج المجتمع ، أشياء كثيرة ، لم يحدها ، وفتحتها على أشياء أخرى كثيرة ، تتصل بالمشاعر الزاخرة داخله ، التي تكثف له الحياة ، حين كان بمناى عنها ، وتخطها بكل ايقاعها ،

وتحت تأثير هذه المحنة غدت مشكلات الخير والشر والاثم والجريمة والحب والرغبة والألم والأمل هموم دوستويفسكى الحزين ، التي يتأملها وينفذ الى أغوارها الميتافيزيقية ، داخل اطار المسيحية الأخلاقية ، التي عاد اليه الإيمان بها ، أقوى ما يكون -

والحق أن دوستويفسكى لم ينل حريشه التامة الا سنة ١٨٥٩ ، حين انتهى تجنيده الاجبارى في الجيش بعد الاعتقال ، وسمح له أن يقيم في العاصمة ، موسكو ، وينشر مؤلفاته التي كتب بعضها في المعتقل ، وصوره في بعضها بصيغة تهز الضمائر • وقله نشرت معظم منه الكتابات في جريدتى : « الزمان » و « المواطن » ، اللتين حملتا دعوته الى خلق حياة جديدة ، تنبع من الأرض الروسية ، والروح الروسية •

تنهض هذه الدعوة السلافية على قيم غير القيم المبكرة الثورية التى استهل بها حياته العملية • وبعد زيارته لأوروبا الغربية ومشاهدته العالم المادى المليء بالتعاسة على الطبيعة ، الذي يضم دولة الراسمالية على حافة المنحد ، تضماعف ايمانه بدعوته ، وبالجانب الروحى على نحو خاص •

 الأولى لهذا الاتجاء الذى يعد صاحبه أول من دعـــا الى البحث ، أيضًا ، عن الينابيع الشعبية العريقــة للمسرح الروسى ، ومقاطعة الثقافة الغربية ·

الم يكن دوستويفسكى يرى أن تقطة القوة في العمل الفتى أن يصدر في مادته عن الريف الروسى ، ويرتبط بترابه ؟!

ثم تتفلب حياة دوستويفسكى بعد ذلك بين اليسر والعوز ، تزوج خلالها اكثر من مرة ، وكتب كثيرا من الانتاج الدرامى الذى توغيل في احبراش المساكل والعواطف والانفعالات الانسانية ،وكان اروعه بلا جدال : « الجريمة والعقاب » و « الاخوة كارامازوف » و « بيت الموتى » •

غير أنه في سنواته الأخيرة عاش في استقرار ودعة ، ونال مزيدا من الاعتراف بمكانته الأدبية ·

ه الإتوار » ، بيروت ، ٢٠ اكتوبر ١٩٧٢ ،

راميسسو

عاش الشاعر الفرنسى جان أدثر رامبو ، بين ١٨٤٥ و ١٨٩١ ، حياة خاطفة ، مثل الشهاب ، ولكنها حافلة بالاحداث المرتبطة بالعصر ، مليئة بالفاجئات المشيرة ، والتطلع والتشرد والمغامرة ، نابضة بالحقائق البشرية ، والتطلع الانسانى نحو حياة أفضال ، وان لم تكن واضحة المعالم لصاحبها ،

والموهبة التى تموت فى شبابها ، قبل أن تبلغ ، باكتمال دورتها ، قمة النضوج ، يقدر لها عادة أن تتجلى بكل عبقريتها فى سن مبكرة ، على غرار ما جرى لرامبو . وتعطى أوفر عطائها خلال هـنا العمر القصير ، الذى لم ينقطع كله للانتاج الفنى ، ورغم هـنا يحقق لصاحبه خلود الأثر •

ولم يكن عطاء رامبو القليل بـ سيواء في مرحلته الأولى الواضحة أو في المرحلة الثانية الغامضة بعد سنة ١٨٧١ .. يدور حول نفسه ، بل حول الطبيعة التي خرج اليها ، والحياة الروحية ، والسعادة الحسية ، والبشرية المتآخية ، والحرية المحمومة ، والحلم المنطلق في الإفاق ، الذي يحطم الواقع في طريقه .

ومع هذا فان حياته الفريبة ، وما لاقاه من خيبة أمل ، واحباطات أمه له ، ينعكس بالطبع على جزء كبير من انتاجه الشعرى ، ذى التأثير العميق فى النفس ، الذى يرجع نفاذه ، فى المحل الأول ، الى توفيق رامبو فى استخدام الأدوات الفنية البحتة بكفاءة بالغة ، ونجع فى النهاية فى تغيير ملامحه ، وتحويل مساره .

وتختلف هذه الأشعار التي تنبىء عن ادراك حاد لا زمني للعالم عن الشعر الكلاسيكي الرصين ، الذي تمرد عليه رامبو ، وسخر منه في عديد من قصائله ، ولعن اصحابه ، مقدما البديل في هذه الرؤى الرمزية البعيدة ، وفي تلك الكشوفات اللغوية المبدعة .

أما مطالعاته فى التراث ، وما حصله من معارف متنوعة ، فقد طرحه جانبا ، ولم يتبن منه أية فكرة ، اذ كان قليل التأثر به ، لا يرى فائدة من تعلم اليونانية والتاريخ والجغرافيا •

على أن ثقافته المحدودة ، وخبراته بالحياة ، تحولت

يفضل موهبته الأصيلة ، الى ثمار خاصة مغايرة ، تصدر عن عالم الخيال ، الزاخر بالأسرار والألغاز والاضطربات المشوشسة •

ان هـنه المنطقة الخيالية التى نهل منها رامبو اشعاره ، تتميز بالرحابة ، حيث يمتزج أو يستوى الكل المختلف في وحدة واحدة ، وتختلط عناصر العدم بالضمياع بالحيرة بالأسى ، بشكل متنافر في ظاهره منسجم في داخله، يشى بالبلبلة الحادة التى يحدثها الشاعر في حواسك وحوافزه ، لكى تجيش باعلى درجـة ممكنـة ، عن طريق الانغماس التام في التجارب الحسية أو الوجدانية التى قد تقرب به من المس أو الجنون ،

الا انه بعبوره هذه الحالة من الرؤيا الملهمة (بفتح الهاء) للوجود ، يكون قد عشر في المتاهة على لقيا باهرة ، تفضى الى المجهول الموحش المتعالى ، فيما وراء الواقع (الميتافيزيقا) حيث يسمع ما لم يسمع ، ويرى صورا مفككة متراكمة مزدهرة ، يفصح خلالها عن أشواقه الانسانية الكامنة ، التي لا تجد لها ريا أبدا .

هذه اللقيا هي التجربة الفنية الراقدة في أعماق الشماعر ، ذات القوة المستوعبة لكل انفعالاته ومشاعره القامرة ، القادرة على تفجير العالم في صدور ، تتمثل في النهاية في القصيدة التجريدية ، الشعرية أو النثرية ، على السمواء ، التي يستطيع أن يعبر بها ، بارادته الحرة ،

وبالبداعة ، عما لا سبيل الى التعبير عنه ، حتى لو لم يفهم بنفسه رؤيته الا بالفعل أو السلوك أو جلاء البصر •

لا غرابة أن تكون اللغة التى يؤدى بها رامبو تجاربه لغة جديدة مبتكرة ، غير مالوفة ، غريبة في علاقاتها ، وفعالة ، ومفاجئة ، من خلق يديه ، قد لا يتم بها المعنى الغافى ، وقد يقتصر على الجزء المفتت ، وقد يتجاور فيها الشاذ القبيح مع العادى البسيط الجميل ، أو تتناقض الكلمات مع دلالاتها المباشرة ، وقد ، وقد ، وحدث تنطرى على اعلى درجة من التنبيه ، التى تضاعفها قوة الانفعال الموسيقى المخفى ،

وهذه ، بحد ذاتها ، سمة من سمات الخلق والابداع التى تحفظ اسم رامبو بين الغنانين الملهمين الخالدين ، وهى التى تأثر بها آكثر من شاعر كبير صهرهم العذاب واللعنة ، في مقدمتهم صديقه الشاعر الحالم قرلين (١٨٤٤ ــ ١٨٩٦) الذي أطلق عليه الرصاص ، بسبب الحب الآثم الذي نشأ بينهما ، بعد أن ترك قولين زوجته، وصحب الشاعر الصغير في باريس ، وبروكسل ، ولندن، مسلوب الارادة برامبو وموهبته ،

[«] الثقافة الأسبومية » ؛ القاهرة تُ ٢٦ يتاير ١٩٧٥ -

سينج

في سنة ١٩٧١ احتفلت الدوائر الثقافية في انحساء العالم بالذكرى المتوية الأولى على ميلاد الكاتب الايرلندى جون ملنجتون سينج (١٨٧١ - ١٩٠٩) ٠

وفي الرابع والعشرين من شهر مارس الماضى ، تمر الذكرى الخامسة والسبعون على رحيله ، بعد حياة خاطفة ، لم تدم غير ٣٨ سنة ، ولكنها كانت حافلة بالابداع الأصيل المتميز ، النابع من اعماق البيئة المحلية في ايرلنده ، والمعبر عن حياتها الخاصة الفريدة في مرحيلة اليقظة القومية ، والصراع من أجهل التمرد والاستقلال •

وكان سينج قد تلقى تعليمه فى جامعة ترينتي بمدينة

دبلن عاصمة ايرلنده ، وهي المدينة التي ولد فيهـــا ، ودفن في مقابرهـــا •

وبعد تخرجه من الجامعة أتيح له أن يطوف أوروبا الغربية وفي فرنسا التقى سينج سنة ١٨٩٦ ، وهو بعد في المخامسة والعشرين ، في مستهل حياته الأدبية ، بمواطنه وليم بطلر ييتس ، والد حركة الشعر الإيرلندى ، فكان هذا اللقاء بمثابة منعطف كبير في حياته ،

ذلك أنه بتوجيه مباشر من يبتس غادر سينج فرنسا التى كاد يستقر فيها ، ويتخرط فى حياتها الصاخبة ، وعاد الى بلاده مبتعدا عن قيم الحضارة الأوربية المادية ، والمناقشات الفلسفية التى تعج بها باريس .

وعلى الساحل الغربي الايرلندي ، في جزائر الارن، أخذ سينج يعايش الحكايات والأساطير الشعبية · كسا أخذ يختبر الحياة ، ويقترب من الهموم اليومية ، والمساكل الوطنية ، ويتذوق جمال لهجة الفلاحين والصيادين التي تنبض بالصدق والحرارة والمجاز ، ويستمع الى موسيقاهم البدائية ويتأمل حياتهم المرتبطة بالطبيعة في روعتها وقسوتها ·

ولسينج ست مسرحيات تلتقى فى بعض دلالاتها بالمسرح الاغريقى ، وبمسرح لوركا · قام ييتس بنشرها بعد وفاته بسنة واحدة ، وهي : « في ظلال الوادي » ١٩٠٣ ،

« الراكبون الى البحسر » ١٩٠٤ ، « بئر القديسسين.» ١٩٠٥ ، « عرس صانع المعرب اللعوب » ١٩٠٧ ، « عرس صانع المتنك » ١٩٠٨ ، وآخر اعماله « ديدرى فتاة الأحزان » ١٩٠٠ .

وتعد مسرحية « الراكبون الى البحر » من انفسيج اعماله ، واكثرها غنى بالدلالات الإنسانية ، لأنها تجسد بلغة دمثة وبناء درامى مكثف ، رؤية سينج للحياة الصعبة التي تعيشها الأسرة الفقيرة في ايرلنده ، على سواحل الجزر من أجل كسب القوت •

والماساة الحقيقية في هذه الحياة هي ترصد الموت الذي لا يخطىء في كل لحظة ، يختطف الأبناء ، الواحد بعد الآخر ، كما يسقط الليل حتماً في آخر النهار ،

وبينما يترك الآباء الكبار للأبناء ، بعد رحيلهم ، الأشياء الخاصة بهم ، نجد الأبناء ، في هذا العالم الرمادي الفاجع ، هم الذين يخلفون الأشياء لآبائهم المسنين ، كما يخلفون لهم الذكريات المرة .

ثم لا يجد هؤلاء الأبناء من يندب موتهم غرقي غير الجنيات السوداء التي تحلق فوق سطح البحر

وبهذا التناول المؤثر الأصيل لحياة الايرلنديين. في وطنه ، وضم سينج البنور الأولى لنشأة الأدب القومي

الحديث في بلاده ، في مجال المسرح ، بما قدمه من أعمال تنبض بالروح الشاعرية الأسيانة ، وبما تعفل به من شخصيات ذات مسحة أسطورية ، من نسيج أساطير الشعب القديمة ، تعيش حياتها الريرة الى أن تنتهى الى الموت ، بكل حدثه وقسموته ، كقصدر لاراد له ، ولا مهرب منه ،

[·] ١٩٨٤ الاذاعة والتليغزيون » ، القاهرة ، ٧ أبريل ١٩٨٤ ،

محمسد اقسسال

توافق السبئة القادمية الذكرى المتويية على مولد الشاعر والفيلسوف الهندى الباكستانى محميد اقبيال (٢٢ فبراير ١٨٧٣) ، الذي ذاعت في ارجاء العالم اشعاره وفلسفته الكتوبة باللغات الاردية ، والانجليزية •

والاحتفال باقبال احتفال باحد نوابغ الشرق القلائل، الذين خلفوا تراثا روحيا عظيما ، يمكن أن يفيء لنا بعض جوانب طريقنا المضطرب ، بما وعى من معرفة ، وبما صاغ من فكر للامة الاسلامية والحياة ، تخطى بها حدود الأوطان والآذمان .

ذلك انه كان ، مثل الفيلســوف الفرنسى رينان ، يعتبر أن المثماعر الموحدة التي تنجمع الجماعات ـــ لا الجنس أو الدين أو الطبيعة التي يوجه فيها الفرد اتفاقا ... هي التي تصنع الأمم ·

درس اقبال فى جامعة كامبريدج بانجلترا ، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة ميونخ بالمانيا • وخلال هـنه السنوات التسلات التى عاشها تحت سماء الغرب ، من ١٩٠٥ ــ ١٩٠٨ ، اتسع عقله من دروس حكماء «الفرنج» التى حدقها ، و «انارت صحبة أصحاب البصائر قلبى» ــ على حد تعبيره • ولعله يقصد فى مقدمة أولئك برجسون، الذى التقى به فى باريس أكثر من مرة ، وناقشه فى مشكلة الزمن •

وهنرى برجسون (١٨٥٩ ــ ١٩٤١) فيلسوف جمع فى بداية حياته الفلسفية بين العلم والفن ، بين عقل المفكر وروح الشاعر ، ثم لم يلبث أن طغى الجانب الروحى على ما عداه ، وغلبت فى فكره المثالية على المادية ·

واثناء ملامسة اقبال لموقف المجتمعات الأوربية من الحياة ، ونوعية اتصالها بها ، أدرك العوائق ، المتمثلة ف الغلسفة المادية ، التي تحول بينها وبين الرقى ، كما أدرك ما تلقاء الفكر الأوربي من الحضارة العربية ومن ثقافة الاسلام •

ولهذا لا يجد اقبال حرجا في انتفاع الفكر الاسلامي

الماصر بالثقافة الغربية الحديثة بصفتها معرفة انسانية متطورة . تثرى المأثور الفلسفي في الشرق •

والشرقى المسلم ، عنه اقبال ، مزود فى جوانيت ، ((بالبادىء الفكرية العليا التى أتى بها الوحى ، المنبعث نطقه من أعماق اعماق الحياة)) ، كما ذكر فى كتابه المهم ((تجديد الفكر الدينى فى الاسلام)) ، ويقصد بالتجديد اعادة بناء أو اعادة تركيب هذا الفكر .

وبهذا الفهم يختلف اقبال عن المتصــوفة الذين يفنون ذواتهم في ذات الله ، ما عدا الحلاج ·

انه ، على العكس من عامة المتصوفة ، يدعو الى تقوية الخات ، وتحقيق انفرادها ورقيها واستنباط كل ما في فطرتها ، حتى تستطيع أن تضطلع بالعمل الصالح المصر •

الا انه لكى تعطى هذه الذات نغماتها الخاصة ، وتتفتق عن كل طاقاتها الكامنة ، لابد اولا أن تتخلى عن نغمات الغير المكتسبة ، وتظل فى حالة من التوتر التى تحفظ للذات أو للشخصية دوامها ، وبذلك تتهيأ لادراك مقاصد الحياة واسرارها الخفية ، ومن ثم يتسنى لها تسخير العالم ،

لا غرابة أن يعد اقبال ، بنظرته العصرية الأصيلة ،

۸۱ (م 7 - الکتابــة) بايمانه ان الحياة تكمن فى الحركة ، والممات فى الجمود ، رائد الفكر الاسلامي الحر فى القرن العشرين ·

ولم تكن اهتماما اقبال تنحصر في الآفاق الدينية وحدها ، التي حلم بأن يحقق بها العصر الذهبي للاسلام والمسلمين ، بل كانت تتسع عبر اشعاره خاصة ، التي تتراوح بين الأسلوب التعليمي والقصصي والوصفي ، وتشمل أهم القضايا السياسية والأخلاقية التي يجابهها العالم ، فضلا عن حكمه البليغة ، التي تصدر عن روح عذبة وتجربة حياتية خصبة ، كانت قادرة على اشعال النفوس ، بالنسبة لمسلمي الهند ، ضد السلطة الانجليزية، ودفعها إلى التعرد ،

ويذكر الذين عرفوا وعايشوا محمد اقبال انه كان فى حزن دائم • ولهذا الحزن اسباب عديدة ، يمكن ان تلمسها فى فلسفته كما تلمسها فى اشعاره ، وكلتاهما تسعى الى النهوض والارتقاء بالانسان ، من خلال الفهم الصحيح المستقل للعقيدة الاسلامية • وقد كان اقبال ، بما طرح من أفكار تدعو الى العمل ، حلقة حية ، ورسالة ملتزمة ، أحاطت بأعظم ذخائر الماضى ، من أجل الحاضر والمستقبل •

[«] الأنوار » ، بيروت ، ٢٢ سيتمبر ١٩٧٢ .

كافىككا

تصدر قريبا في القاهرة ، لأول مرة باللغة العربية ، مجموعة الرسائل العاطفية التي كتبها الأديب الألماني فرائز كافكا في بداية العشرينات من همذا القرن الى الصحفية التشيكية ميلينا بيزينسكا ، محررة صفحة الرأة ، التي ترجمت أعمال كافكا المبكرة من اللغة الألمانية الى اللغة التشيكية ، بكفاءة رائعة أثارت دهشة كافكا نفسه ، كما جاء صراحة في احدى هذه الرسائل ،

ترجم الرسائل ، وكتب لها المقدمة ، ووضع بعض الرسوم للشخصيات الواردة بها ، الأديب الصرى الدسوقى فهمى ، الذى سبق وترجم بعض أعمال كافكا في القصية والرواية ، وصدرت في أكثر من كتاب .

والكاتب الألسائي فرائز كافكا (1887 ــ 1975) كاتب منفرد في تاريخ الأدب ، ورمز من رموز العصر ، يعد من الكتساب العالمين القائل الذين كان لهم تأثيرهم الملحوظ في أكثر من جيل من كتاب أوربا الحدثين ، في لغاتهم المختلفة ، وفي بعض الكتاب العرب من أصحاب الاتجاهات الطليعية ، بها قلمه من أدب قاتم متشائم . يتناول الماساة الروحية للانسان الطارد ، ويمفى بالقارىء في المرات الارضية المظلمة ، وبما نثره من بلور فكرية ، انتفعت بها الفلسفة الوجودية بشكل خاص ، فريسه عن قلق الانسان ، وغربته ، وياسه ،

وللدكتور طه حسين الفضل الأول في التعريف بهذا الكاتب حين كتب عنه في ((الكاتب الصرى))(١) • ولاتزال مقالة طه حسين التي كتبها عن كافكا في الأربعينات أفضل ما كتب عنه في الثقافة العربية •

ولأن كافكا لم يكن بوسعه أن يحقق طموحه الفنى بالأساليب التقليدية التى استنفدتها الرواية حتى في القرن التاسع عشر ، فقد اتجه الى الأسلوب الرمزى الغامض ، متأثرا فيه بمزاجه الخاص ، ومطالعاته في التراث الديني لليهودية ، الذي أفضى به الى جحد دين الآباء ، نتيجة ما رأى من ممارسات بالغة السوء ٠

اما موضوعه فيتناول ، فى مراحمله الأولى ، حميرة الانسان ازاء الحياة المختلطة ، فى بعدها الزمنى والأبدى وتنخص احمدى قصص فرانز كافكا ، وعنوانهما

⁽۱) عدد مارس ۱۹٤۷ ،

((المام القانون)) ، هذه الحديرة الانسانية اللاعجة ولا تزيد أحداثها على أن رجلا ريفيا يقف سنوات طريلة أمام باب القانون ، دون أن يسمح له الحارس بالدخول ، ومع أن الرجل الريفي يشيخ من الانتظار ، ثم يعود القهقرى ويصبح الشيخ طفلا ، ويموت في النهاية ، الا أنه ، حتى آخر لحظة من حياته ، لم يفقد الأمل في الدخول من الباب المغلق ، كما لم يفقد كافكا نفسه هذا الأمل ، وتحطيم التقاليد البيروقراطية التي تمنع اقتحام هذا الكان ، وذلك طلبا للمعرفة العصية المنال ، التي بدا له شعاعها بريقا لا يخبو ،

وتتناول رسائل كافكا علاقة الحب التى تبادلها فى سن الثامنة والثلاثين مع ميلينا . أى قبل وفاة كافكا بثلاث سنين فقط ، فى سن الواحاة والأربعين ، بذات الرئة ·

على أن هذه العلاقة كانت ... على حد تعبير كافكا ...
تمزقا مشتركا المنفس ، أو عربدة للياس ، لأن ميلينا كانت
متزوجة ، وهى غير الفتاة الأولى التى خطبها • كما كان
فارق السن بين كافكا وميلينا كبيرا ، أذ أنها كانت قد
تجاوزت العشرين بقليل ، بينما كان كافكا يقترب من
الأوبعن •

وتعبر الرسائل بجلاء ، كما تعبر اليوميات التى كتبها ولم تنشر الا بعد وفاته ، عن مزاج كافكا السوداوى، وكيف أنه يعانى الأرق والقلق بالاكتئاب والحزن ، كما تعبر الرسائل عن شعوره العميق بالغربة ، في الدنسا

الغادرة ، التى تنقل فى شعابها من مدينة براج الى المانيا، وسمويسرا ، وايطاليا ، وفرنسا ، وعن تمسكه بالفردية فى مجتمع يرفضها ، بالإضافة الى ما تزخر به الرسائل من عواطف انسانية مرهفة بين كافكا وميلينا ، التى توصف بأنها ذكية وطائشة ، تجمع بين البرود وتأجيج العواطف ، او بين القدرة على ضبط النفس ، وثورات الغضب •

كما تتعرض الرسائل ـ الى جانب الأخبار السخصية المليئة بالشعر ـ لبعض قضايا الأدب والصحافة والحياة ، من الوجهة الذاتية البحتة ، التى تلقى أضواء على ادب كافكا ، وترتفع بالرسائل إلى مستوى الاعترافات الصريحة المعقدة ، التى لا تجرؤ على كتابتها الا عبقرية فذة من طراز كافكا الذى لا يتحرج عن ذكر كل ما يعتريه من مساعر وأفكار ، على نحو ما امتاز ادبه كله بالصدق الذى يبدو كأنه كان يكتبه لنفسه •

ومع أن هذه الرسائل كانت ، بمعنى من المعانى ، عوضا عن لقاء كافكا بميلينا ، الا أنه كان فى الحقيقة يعتبر ، بنص القول : ﴿ أَنْ كَتَابَة الرسائل معناها أن يتمرد المرء أمام الأشباح • وهو ما تنتظره تلك الأشباح فى شراهة ، ولا تبلغ القبلات الكتوبة غايتها ، ذلك أن الأشباح تشربها فى الطريق » •

[«] السياد ٤) بروت ، ٢ قبراير ١٩٧٩ · ·

لويس ماسينيون

احتفلت جامعة القاهرة ، بالاشتراك مع مجمع اللغسة العربية والسغارة الفرنسية ، بالذكرى المتوية الأولى لميلاد الاستاذ لويس ماسينيون •

وعلى مدى ثلاث جلسات متتالية ، في الحيادي عشر والثانى عشر من اكتوبر ، القى عدد من الباحثين الصريبن والعرب والستشرقين أضيواء ساطعة على حياة المستشرق الفرنسي ماسينيون ، وعلى مؤلفاته ، ومنهجه ،

ولانه من الصعب ، في هــذا الحير الصغير ، عرض او تلخيص الأبحاث التي تؤلف مجلدا كبيرا ، فاني اكتفى بالإشارة الى شجاعة ماسينيون الفكرية والروحية التي استطاعت أن تصحح الفكرة السائدة عن المتصوف الاسلامي الحلاج ، وتكشف عن وجهه الاجتماعي والسياسي المتألق ،

الذى تفاعل مع الواقع ، فى مطالبته بالعدل ، متجاوزا عالمه الفردى الى عالم الفقراء الخارجى ، بأكثر مما تتحمل السلطة ، التى لفقت له تهمة الكفر ، لكى تحكم عليه بالاعدام ، وتتخلص من متاعبه ،

ولهذا ظل الحلاج محتجباً في التاريخ ، يقف في الظل. لا يراه أحد ، ولا يقترب منه أحد ، الى أن جاء ماسينيون ووضعه في مكانه الصحيح كصاحب عقيدة يستشهد من أجلها .

وعلى الرغم من أن أبحاث ماسينيون ضربت بسهم واقر في التصوف الاسلامي ، وفي الغرق الدينية المختلفة ، مثل الشيعة والقرامطة والاسماعيلية ، الا أنه اختصالحلاج باهتمام كبير ، منذ وقف على قبره المهمل في بغداد ، وشعر بنور يجتاح كيانه ، فنشر سنة ١٩٠٩ كتابه الوحيد « الطواسين » ٠٠ كما نشر سنة ١٩٣١ « ديوان الحلاج »، وترجمه الى الفرنسية ، واشترك مع بول كراوس سنة ١٩٣٦ في نشر كتاب « اخبار المحلاج » .

وترجع قيمة هذه الجهود العلمية التى قدمها ماسينيون الى سلامة المنهج الاجتماعي الذي تحرك في اطاره ·

وبينما يرى اكثر الباحثين في التصوف الاسلامي ملامح أجنبية واضحة ، وافسة من الخارج ، نجد ماسينيون يؤكد أن أصوله نابعة من صميم الاسلام نفسه .

ولم يكن ماسينيون يعتمد ، في منهجه العلمي الدقيق. على الغروض النظرية ، التي لا تحفل بما يؤيدها من روايات ، وانما كان يعتمد ، في المحل الأول ، على النصوص الموثقة ، التي تجعل النتائج التي يتوصل اليها لا تقبل الشك أو الجدل ، الا اذا ظهرت وثائق أخرى تختلف عما اعتمد عليه ،

ولعل أهم ما قدمه ماسينيون _ الى جانب دراساته الواعية للتصوف الاسلامى _ محاضراته المنهجية في تاريخ المصطلحات الفلسفية العربية . التى القاها باللغة العربية في الجامعة المصرية القديبة سنة ١٩١٧ _ ١٩١٧ ، ويقوم المهد الفرنسي بالقاهرة ، هذه الأيام ، بطبعها في كتاب ، تتولى تقديمه وتحقيقه الدكتورة زينب الخضيري .

ذلك انه بدون تحديد المصطلحات تفقد المعرفة قوامها، وتتحول الى شتات •

ودراسة ماسينيون للمصطلحات العربية ، لا تنحصر في التراث العربي وحده ، ولكنها تتسم دائما لتبدأ بدراستها في اصولها اليونانية ، أولا ، ثم تنتقل بعد ذلك الى المرحلة الزمنية التي يتناولها ، مع تقديم عرض واف للمدارس المتعددة التي استخدمت هذه المصطلحات ، وكثيرا ما كان ماسينيون يتابع دراسمة لتطور هذه

المسطلحات حتى أيامه المعاصرة ، حتى تصبيح معرفة الماضي موصولة بالحاضر ، وتتكامل الرؤية •

ولد لويس ماسينيونسنة ١٨٨٣، وتوفى سنة ١٩٦٢ عن ٧٩ سنة ، قضى شطرا كبيرا منها فى وطننا العربى ما بين العراق ومصر ، باحثا ودارسا ومعلما فى التراث الروحى للاسلام ، يتكلم ويحاضر فى الجامعة المصرية القديمة باللغة العربية ، كما عين عضوا بمعهد الآثار الفرنسى بالقاهرة فى ١٩٠٦، ، واختير أيضا منذ ١٩٣٢ حتى وفاته عضوا عاملا فى مجمع اللغة العربية ،

أما الشطر الباقى من هذا العمر المديد فقد قضاه فى الكوليج دى فرانس ، حيث ظل أكثر من ثلاثة عقود كاملة يحاضر عن علم الاجتماع الاسلامى ، ويكتب أبحاث بعدت لغات ٠

ومن خلال علم الاجتماع الاسلامي تطرق ماسينيون، بمنهج تاريخي وتحليلي ومقارن دقيق ، الى دراسة كثير من الظواهر والمشاكل والمذاهب الاجتماعية في الاسلام ، قديما وحديثا ، فضالا عن أبحاثه في الفلسفة والعلوم ، واللغة العربية ، والنحو ، والخط .

[«] الإذاعة والتأيفزيون » ، القاءرة ، ٢٩ أكتوبر ١٩٨٣ .

فرنسسوا مورياك

وافقت الآیام الساضیة ذکری مولد ووفساة الکاتب الفرنسی فرنسوا موریاك (۱۸۸۰ س ۱۹۷۰) ، الحائر علی جائزة نوبل للآداب ، والذی ترجمت قصصه وروایاته الی معظم لغات العالم •

وليس في حياة مورياك ما يشر أو يلفت الانتباه ولد في مدينة بوردو ، التي دارت في أجوائها أحداث كثير من انتاجه ، وتوفي أبوه قبل أن يبلغ السنتين ، فرعت أمه برفق وحزم ، وربته تربية دينية ، تجنح الى الحزن والتشاؤم ، انعكست اصداؤها الى آخر العمر على كتاباته، التي تعتمد غالبا على ((تلكر أشياء مضت)) ، يعيد الكاتب اكتشافها ، ترجع دائما الى طفولته ومراهقت ويفاعت ، اكتشافها ، ترجع دائما الى طفولته ومراهقت ويفاعت ، لكنها تظل مختفية في اهاب الخلق ، والعاطفة الجارفة ،

وبعه أن حصل على ليسانس الآداب من جامعة بوردو سنة ١٩٠٦ ، اشتغل بالتدريس فترة قصيرة في باريس ، ثم تفرغ بعدما للانتاج الأدبى المتصل الذي بداه بالشمر في سن مبكرة ، اذ صدر له سمنة ١٩٠٩ ديوان ((الآيلي) المعقودة)) ، الذي اتسم بالاتزان والحكمة •

كما أنه اتجه في الثلاثينات الى المسرح ، وكتب عدة مسرحبات ، أهمها ((اسمودى)) ، و ((الحبوبون الإشرار)) ،

ولمورياك كتابات تعبر عن فهمه الدقيق لكل من القصة والمسرحية • فالقصه ذات حيز فسيح ، يتيح لكاتبها أن يمضى بحرية في نسج الخيوط كما يشاء ، بينما تبطلب المسرحية تركيزا بالغا لم يتمكن مورياك معه من أن يضرب فيه بسهم وافر •

وعلى الرغم من انه مارس أيضا النقد الأدبى وكتابة المذكرات والسير ، وله مواقف سياسية مشهودة ، واكب فيها الحركات التقدمية ، الا أن شهرته الحقيقية تقوم على الرواية ، ويعتبر من المع كتابها في هذا القرن ، واكثرهم قدرة على تصدوير عزلة الانسان المحتومة ، والحواس البشرية الشرهة ، واستجابات الجسد للشبهوات بالتهالك على المتع ، ويقظة اللاشعور ، والشر .

كتب مورياك روايت الأولى ((الطفــل الكبــل)) سنة ١٩١٣ . ويكاد موضوع هذه الرواية يكون قاســما مشــركا فى انتاجه التالى ١٠نه القلق والانقسام على الذات بين العالم المادى والعالم الروحى • وقى رواياته : ((الرداء الإبيض المطرز بالارجوان)) ١٩١٤ ، ((المحمول المعرف المع

ولو أن مورياك يرى استحالة تحقيق التوازن بين الجسد والروح ، لن يعيش في قلب الحياة ، مهما استحوذت عليه دراما الخلاص • وكثيرا ما يحفظ شخصياته دون أن يتطور بها أدنى تطور •

ويتبلور هذا الحس الديني الأصيل ، بكل ايقاعاته المتافيزيقية ، في كتابه ((حياة السيح)) الصادر في ١٩٣٦

ولاهتمام مورياك بالشخصية الفردية ، يطلقها من عقالها عبر المونولوج الداخلي الذي تتبدى فيه الشخصيات المنطقة على ذاتها ، المحاطة باللامبالاة والجلب ، عاجزة تماما عن الاتصال بغيرها من الشخصيات ، مثل الكواكب والإفلاك الدائرة ، التي لا تتلاقي أبدا .

لكان هناك جدارا شاهقاً يحتجز الفرد عن الفرد ،

ويجمله لا يعرف بالضبطما يريد ، مما يباعد دائما بينه وبين ما يطلب ، حتى لو كان بين الأب والابن *

الا أن مورياك لا يعفى الفرد من المسئولية • يقول في هذا الصدد : ((يجب ألا تقبل الفسئا بساطة ، بل تخلق الفسئا » •

ويتفق معظم الذين كتبوا عن مورياك على أن رواية ((عقدة الأفاعي)) ، التي ترجمها الى العربية نزيه الحكيم سنة ١٩٤٧ ، خير انتاجه كله ، وأكثره تعبيرا عن فكره وفنه •

في هذه الرواية نعايش أبا وزوجا عجوزا حقودا عاش وحده يبغض كل شيء ، تماث الضغينة قلب ، وها هو يكتب ، في عيد ميلاده الثامن والستين ، الاتهامات لأسرته، موجها الحديث الى زوجته التي كانت تتجنب حديثه معها ، مسترجعا كل جزئيات حياته الكامدة المنصرمة منذ الطفولة .

ومع أن مورياك جاء ووراءه تراث فنى طويل فى الماضى والحاضر ، الا انه من الصعب العثور على انسابه الفكرية والمنية ، أو الآصرة بينه وبين سائر الكتاب ، الأنه ، فى خلق أعماله ، لا يعتمد على أحد غير نفسه ، بل يتركها على سجيتها الكاملة تخضيع لمزاجه الفنى الأصيل ، وتقائيته الخاصة التى تنساق بها الموهبة ،

[«] الأتوار » ، بيروت ، ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ .

ايغيو أندرفيتش

يعد أيفو أندروفتش أعظم كتاب يوغوسلافيا في العصر التحديث • ولد سنة ١٩٧٥ ، وتوفى سنة ١٩٧٥ ، بعد أن ظل سنوات طويلة يعانى من مرض الكابة ، بسبب وفاة زوجته ، ويتنقل بين مصحات بلاده •

زار القاهرة سنة ١٩٦٢ ، والتقى فيها بعدد من الكتاب المصريين ، من بينهم طه حسين ، وفي الأحاديث التى عقدت معه بعد ذلك ذكر ايغو اندروفتش اسم طه حسسين كاديب عربى كبير ، يستحق كل تقدير ، وتمنى لو استطاع أن يتعلم اللغة العربية ، ويزور لبنان وسسوريا والاردن والعسراق ،

وخلال زيارته لطه حسين فى فيلا « رامتان » بالهرم. افضى له عميد الأدب العربي بأنه يعد كتابا من ثلاثة اجزاء عنوانه ((المتعطشون الى العدالة »). عن أول ثورة قامت في الجزيرة العربية سنة ٣٦ هجرية ، للمطالبة بالعدالة الاجتماعية ، وقد انتهى من كتابة الجزءين الأولين من هذا الكتاب المخطوط ، وتمت ترجمتهما الى اللغة الفرنسية •

وفى ١٩٣١ حصل ايفو اندرفتش على جائزة نوبل للإداب عن روايته الرائعة ((جسر على نهر الدريئا)) . التى ترجمها الدكتور سامى الدروبي الى اللغة العربية ، وصدرت عن « دار الهلال » في جزءين •

واندرفتش بدا حياته الأدبية بكتابة الشعر لأكثر من عشر سنين متصلة ، امتدت من سن الثالثة أو الرابعة عشرة الى السابعة والعشرين ، حين صدر له ، سنة ١٩١٩، ديوان ((قلق)) ، وهو عبارة عن نثر غنائي ،

الا أنه لم يلبث أن هجر الشعر كلية ، وأتجه الى كتابة القصة والرواية ، أنبثاقا في البداية من تصوره الخيالي لما يختفي وراء أغلفة كتبها ، التي كان يعجز عن اقتنائها ، ولا يملك الا أن يقف أمام وأجهات المكتبات في مدينته الصغيرة ، سيرتاجو ، ينظر اليها ويحلم بالعوالم التي تنطوى عليها ، كابراج بعيدة المنال ، تمثل ، على حد تعبيره ، بهاء الكون ،

وعلى الرغم من أن اندروفتش اتجه الى القصــة والرواية ، فلم تفارقه لوهلة واحدة روح الشاعر الملحمي ، وثقافة اندرفتش ثقافة عريضة ، تضرب فالحضارات المختلفة ، بالاضافة الى تجربته العملية الخصبة كعضو عامل في كثير من منظمات المقاومة والتحرير والثورة ، التي أدت به الى السعون ، ولكنها أشعلت فيه الوعى بالفروق الحادة بني الذين يملكون ، والذين لا يملكون ،

قرأ للكتاب والروائيين العالميين في الآداب المختلفة ، وبلف اتهم الأصلية التي يجيدها ، وهي : الألمانية ، الروسية ، الايطالية ، الفرنسية ، الانجليزية ، الى جانب لفته القرمية بالطبع ، بلهجاتها المتعددة التي افتتن بها ، على نحو ما افتتن بتقاليد وعادات أهلها ، وبخاصة في موطنه الأصلي .

ولکنــه لم یتـــاثر فی شـــبابه الا بالکتاب الروس : تولســـتوی ، جورکی ، تشـــیکوف ، وبالکاتب الألــانی توماس مان •

أما مفهومه للابداع ، ففى رايه ان قيمة العمل الأدبى تتوقف على جوهره ، ويعنى به مادته ومضمونه ، وليس على شكله او بنائه الفنى • وأرجو ألا يفهم هذا الموقف على أنه مناقض للجمال ، وانما على أنه مناقض ، وحسب ، للزخرفة الخارجية المصطنعة ، التى تفتقد الغاية أو المبرر الفنى ، وعلى أنها اعلاء للعناصر الأولية الخالدة الكامنة فى الأشياء الحقيقية، كما تكمن الكلمات فى الصمت ، أو اللمسات فى السر المجهول •

وشخصيات أندرفتش شخصيات ايجابية مكافحة . تقوم بغريزتها الفطرية بانجازات ضخمة ، لا تقل عن انجازات الطبيعة نفسها ١٠٠

كما تتمتع هذه الشخصيات بالفهم العميق للواقع الذي تعيش فيه ، والارتباط المحميم بالأرض التي تنتمي اليها .

ولا يقتصر مجال ابداع ايفو الدرفتش على الحياة الواقعية في الزمان والمكان ، بكل ما تزخر به من أحداث ، على نحو ما نجد في روايته الشهيرة ((جسر على نهر درينا)) بل انه في رواية ((الأنسة)) يتوغل ، بنفس القدرة الفنية ، في أحراش النفس ، ويتعمق المشاعر والخلجات الأنثوية .

وأعمال ايفو الدوفتش تتميز بالحس الشاعرى ، وبالرئرية الانسانية المرهفة ، والتعاطف الحميم مع البسطاء الذين لا يملكون شيئًا في كفاحهم الذي لا يهن أبدا ، على مدى التاريخ ، ضد القوى المناهضة ، المضادة للتقدم الحضاري ، وخير الانسان ، التي تهدم ما تصل اليه يدها .

ومع هـذا ، وعلى الرغم من ادراك ايفو أندرفتش لحجم الشر في العـالم ، الا أنه لم يشك مطلقا في أن المحنة ستزول في يوم من الآيام • ولم يفقد تفاؤله أبدا بأن تكون الأرض أجمل ، وحياة الانسان أفضل وأسهل •

ه الأثرار ٤٠ بيروت ، ٢٧ أكتوبر ١٩٨٠ -

ماياكوفسسكي

احتفلت الأوساط الآدبية في الاتحاد السوفيتي وأنحاء العيام ، في شيهو يوليو الماضي ، بذكري مرور تسعين سنة على ميلاد الشاعر فلاديمير ماياكوفستكي (١٩٣٠ ـ ١٩٣٠) •

وماياكوفسكى المع شعراء الثورة الروسية • كانت أشعاره المبكرة ارهاصا بهله الثورة ، وعندما انفجرت في اكتوبر ١٩٩٧ تغنى بها وباهدافها ، باعتبارها ثورته ، التي تمشلت في اقامة مجتمع استراكي جديد ، ينهض على انسان جديد ، قادر على صنع الحياة الجديدة في أرضه ، ونشر الحب كعلامة من علامات الصحة الروحية والنفسية •

كان ما ياكوفسكي يلقى قصائده وسط جموع الشعب

الغفيرة التى تغص بهم ميادين موسكو . فيمتلك على التو مشاعرها • وكانت دواويت تحقق فى نفس الوقت أعلى توزيع بلغه شاعر ، اذ وصل توزيعها الى ٨٠٠ ألف نسخة لليوان . ويقدر عدد اللغات التى ترجمت اليها قصائده باكثر من ثلاثين لغة •

ولم يكن هذا الموقف الثورى يقتصر على تجربت العملية الطموحة فى الحياة التى تجعله يقف بوعيه الكامل أمام الكرة الأرضية بنسرها ، بل كان ينطبق ايضا على موقفه الفنى ، كتائر على التقاليه الفنية البالية ، يرفض اللغة والأوزان والصدور التقليدية المستعملة ، التى تعكس روح الطبقات السائدة ، مبتدئا صفحة جديدة فى التعبير الفنى ، تنظر وحسب ، فى مراحلها الأولى ، الى الحاضر والمستقبل ، وتعتمد على الخلق والابداع غير المسبوق ،

وعلى الرغم من ايمان ما ياكو فسكى العميق بالثورة والتغيير ، وتغنيه بانجازاتها المادية التى كان يتابعها مع متابعته الأحداث العالم ، الا أنه كانت له ذاتيته التى لم يشا أن يتخلى عنها ، ويذوب فى تنظيمات الثورة ، أو ينخرط فى حزبها ، ايمانا منه بأن الفن ينبغى أن يكون متعدد الألوان ، وليس لونا واحدا ،

ونتيجة لغلبة روح لفنان المبدع ، المتعدد الأوجه ، على صوت الداعية ، الوحيد الوجه ، يعترف ماياكوفسكي بأن سيرته الأدبية التي كتبها في قصيدة ((الرديء)) لم تكن على مستوى جيد ، لأن الروح الأكاديمية المنظمة لم تؤثر فيه بالقدر الكافي و ويذكر في مناسبة أخرى انه يستعين أحيانا بالكتب ، وفي أحيان أخرى يعينها ، ويقصد بذلك ان الكتب لم تكن تعطيه دائما ما يريد ، وعندئذ كان يضيف اليها ، بدلا من أن يأخذ منها .

ومع أن ما ياكوفسكى تمتع فى حياته بتقدير زعماء النورة ، وعدد من كبار الكتاب الروس ، فى مقدمتهم مكسيم جوركى ، الا أن البيروقراطية الحاكمة استطاعت أن تنال منه ، الأنه لم يكرس كل شعره للثورة وحدها ، وانها كتب بعض القصائد فى الحب ، معبرا عن البعد الساطفى والوجدانى فى نفسه ، واتسم شعره بالغموض .

وكان الاتهام الذى وجه الى ماياكوفسكى انه شاعر رومانتيكى ، عاطفى ، ينزع فى قصائده الغنائية نزوعـــا فرديـــا ٠

غير أنه ظل حتى آخر يوم فى حيات، يعتبر هـذا الانجاز الوجداني أفضل انجازاته الشعرية ، وانه ، بعدم تركيزه على هـذا الجانب ، أغرق زورقه فى الواقع ، وداس على صخرة شعره ذاتها ،

ولم تكن البيروقراطية وحدها هي التي وجهت سهامها

القاتلة الى ماياكوفسكى ، بسبب حضور الذات فى شعره ، بل ان شعراء الفن للفن ، الذين ينتمون للحركة الرمزية ، شاركوا ، من الجهة المقابلة ، فى هذه الحملة ، ضد شاعر عبط _ فى نظرهم _ الى عالم الواقع اليومى ، عالم السياسة ، وتحول باهتمامه بالموضوع الى اداة من أدوات الحزب ، ولم يحلق فى السماء ، بحثا عن مواطن الجمال السامى •

كما ساند همنه المدرسة الفنية في الهجوم على ما ياكوفسكى شعراء الكلاسيكية ، الذين ينظمون أشعارهم على غرار شعر الكسندر بوشكين (١٧٩٩ ــ ١٣٨٧) ، و « لصوص الأدب » الذين حاربوا شعراء الثورة بسبب تأثرهم بسيرهم الشخصية •

وهكذا وجد ما ياكوفسكى نفسه فى مهب رياح عاصفة، بالغة التناقض ، تأتيه من كل صوب ، ولكنها تستهدف مجتمعة تعطيم مجده الأدبى ، والشهرة الذائعة التى تمتع بها فى بلاده وخارجها ، واكدت له يوما بعد يوم يانه أعظم الشعراء قاطبة ،

ولهذا لم يجد ماياكوفسكى حلالما يواجهه من هجوم النقد أو صمت النقاد غير أن يطلق الرصاص على قلبه ، في شقته الصغيرة بالطابق الشالث ، التي تحولت الى متحف ، وهو لا يزال في السابعة والثلاثين من عمره .

وبجانب جثته .. ترك ماياكوفسكى خطابا قصيرا بخط يده ، يذكر فيه ان الطريقة التى اختارها لخلاصه لا تناسب أحدا سرواه ، ويقدم الشكر الى الحكومة اذا جعلت حياة اسرته اكثر دعة ، محددا افرادها بالاسم ، ومتمنيا أن يعيش الجميع سعداء .

[«] العسياد.» ، بيروت ، ١٢ أغسطس ١٩٨٣ .

مند بضعة شهور احتفلت الأوسساط الأدبية فى الانحاد السوفيتى بالذكرى الثمانين على ميلاد الشساعر الروسى سديرجى يسدنين ، آخسر الشسعراء القدامي التقليديين •

عاش يسنين فيها بين ١٨٩٥ ـ ١٩٢٥ حياة خاطفة، انتهت ، كما انتهت حياة ماياكوفسكى الخاطفة ، بانتحاره في أحد فنادق ليننجراد ، كانت النشاة التى نشاها وسط التقاليد الاجتماعية العربقة ، في قرية فقيرة ، يبحث أهلها عن العمل والقوت في المدن الكبيرة ، تتسم بالتهتك والعربدة والصخب ، ومخالطة القتلة واللصوص » ،

كان يسنين يعتبرنفسه امتدادا لبوشكين ، ذلك لأن

انعطافه نحو الشعر بدا عبر قراءة هــذا الشاعر الروسي ، وعبر قراءة ليرمانتوف ونكراسوف وكولتسوف •

وعلى قصر هذا العمر الذى يغلب عليه الشعور بالعجلة ، ترك يسنين ، بغضل موهبته الفذة ، تراثا متنوعا يتألف من القصص القصيرة والمقالات والملاحم ، ولكن القصيدة الغنائية التى تحفظ في بلاده عن ظهر قلب ، والتى بداها في السادسة عشرة أو السابعة عشرة ، تعد أهم انتاجه ، وأكثره افصاحا عن ملكاته الفنية ، التى تعرف كيف تعبر ، بصد لق النفس ، عن كل الأقواح والأحزان والأخيلة التى تلم به وبأهل قريته ،

يقوك ك و زيلنسكى في الفصل الذي عقده عن يسنين في كتاب (الأدب السوفيتي)) أن يسنين كان شاعر القلب ، شاعر الانسانية ذاتها ، الذي يصل صوته الى كل اللغات ، والى البشر في كل مكان ، لأن شعره يرف بروح الغرباء المجهولين مع دف، اللم •

كذلك وصف ما ياكوفسكى اشعار يسنين بانها موجودة حيث يوجد الألم ١٠٠ الألم الذي يولده سحق وردة بالأقدام، أو قطف الفاكهة للطعام، أو استشعار حزن العيون البشرية بدرجة أعمق من حزن عيون البقر ٠

ويذكر يسنين في مذكرات الخاصة ، انه في سنة ١٩١٩ اشترك مع عدد من أصدقائه الأدباء في تبنى

المدرسة التصويرية · غير ان الدعوة لم تقابل بأى اهتمام . لضعف الأسس النظرية التي تنهض عليها ·

وتعد قصائد يسنين عن الوطن من أعلب قصائد الشعر الروسى في العصر الحديث و في هذه القصائد التي تتردد في أبياتها كلمات الشعب الحية وأغانيه تتجلى وأضح ما تكون و طبيعة بلاده و ممتزجة امتزاجا حميما بالإنسان والأشياء والأشجار المتشحة بالثلج الأبيض تحت الشباك و في القرى التي ولد فيها وعرف قبحها السباك و القرى التي ولد فيها وعرف قبحها المستاء و في المحلق المتدة في ضدوء القصر في الشتاء و في المحياة والأنها والفرار من الحزن العاصف الى الأواصر مع الحياة ذاتها والفرار من الحزن العاصف الى داره المعنيرة و وللبه الزاخر بالأحلام الكامنة و والمحبة المسيحية الغامرة للأصدقاء والاعداء على حد سدواء والاستسلام للأحاسيس الجديدة التي يذوب بها في قلب الحياة و ويدرك كنه الوجود و والحس بالمسئولية ازاء الحياة و

هذه بعض المعانى الكلية التي يتحرك في اطارها القومي ، في بساطة ودون تعقيد . شعر يسنين ·

وعندما سافر يسنين مع زوجته الراقصة ايزادورا الى أمريكا ، لم تعجبه ، وفضل عليها « سماء روسيا الرماديــة » ، وأكواخها الطمورة فى الطين على ناطحــات الســعاب الأمريكية ٠

وترجع أهمية هـذا الشاعر ، بالنسبة لنا فى الشرق العربى ، الى ما يتميز به شعره العاطفى خاصـة من روح انسانية تلتقى مع الروح الشاعرية لأعلام الشعر الشرقى، كما يشير الناقد الأدبى س٠ كوشيتشكين فى مقـاله المهم عن ((قلب الشاعر)) ٠

ويستنين بالنسبة للأدب الايطسالي يعتبر ، مع ليوتولستوى ودوستويفسكى وتشيكوف ، من الأسماء الأساسية التي أثرت تأثيرا مباشرا في ادباء ايطاليا المحدثين، وفي غيرهم من ادباء العالم ،

لا المساء ﴾) القاعرة) ديسمبر ١٩٧٥ -

محمسدعساكف

شاعر تركى ، نشأ بالاستانة نشأة دينية في حى مجاور لمسجد محمد الفاتح الذي كان والده يدرس فيه ، وتغنى الشاعر بصاحبه ، باعتباره ـ مثل صلاح الدين ـ رمزا للمجد التليد الذي كان ، وظل طوال حياته يبحث عنه في الزمن الحديث .

تخرج في كلية الطب البيطرى باستانبول ، ثم عمل ابتداء من سسنة ١٩١٧ دئيسا لتحرير مجلة ((الصراط الستقيم)) التي أصبح اسمها ((سبل الرشاد)) • وحين قامت الثورة في الإناضول التي آلفت الخلافة العثمانية انضم اليها محمد عاكف ، وكتب لها الإناشيد الوطنية دفاعا عن الاستقلال ، كما تغني بالعاصمة الجديدة انقره •

ولم يكد يشعر بأن الثورة تغالى في الاتجاه الى

الغرب ، مبتعدة عن الماضى ، الذى تمثل فى تراث الشرق الاسلامى ، ويتجه تفكيرها الى استخدام الحروف اللاتينية بعدلا من الحروف العربية التركية ، حتى قرر أن يهاجر سنة ١٩٢٤ الى مصر حيث عمل بجامعة القاهرة مدرساللغة التركية وآدابها ما يزيد عن عشر سنين متصلة ، أقام خلالها فى حلوان ، وكانت حينذاك خلاء .

والحق أن صلة عاكف بمصر ترجع الى ما قبل هذا التاريخ ، فقد زارها أكثر من مرة ، وتعرف على آثارهما الفرعونية خاصة بشكل حميم تجلى فى كثير من قصائده ٠

یقول محمد عاکف مصدورا ما آلت الیه الأمور فی بلاده ، فی قصیدة « الظلل » من دیوان « صفحات » ترجمة ابراهیم صبری :

> (نظرت ذات الیمین وذات الشمال فاذا الأجانب قد احتلوا كل ناحیة فما كان منى الا ان خنقت صراخى ثم آخـنت جثمانـه وقطعتـه اربـا اربـا ثم دفنتـه في شـعرى » •

ونتيجة للمرض الذي نزل به في سنه المرتفعة ، بالإضافة الى تفاقم شعوره بالوحدة والتيه ، عاد الى بلاده وهو فى قمــة الشعور بالقنوط وســام العياة · وتوفى فى السابع والعشرين من شهر ديسمبر ١٩٣٦ بعد أن تجــاوز الســتين ·

ومحمد عاكف مثل الشاعر الانجليزى جورج هربرت (١٥٩٣ _ ١٦٣٢) يخاطب الله شاكيا أو بتعبير أدق ، يشرك الله في محنف الانصراف عنه ، ولكنف لا يلبث أن يعتدر _ مثل الشاعر الانجليزى أيضا _ عما يقترف في عمره الخرب قائلا في قصيدة « هجران » :

((رباه اضاق صدری ؟ این نورك این رحمتك ؟ كیف یبقی هجرانك مشعلا نار الجحیم علی آفاقی ؟ اجل ، كنت غاثـلا ، اما یغفل الانسـان • تعال لیس هنـا سـواك ، والمنزل لك)) •

وهنـ اك عدد كبير من القصــائد ، تصــور النزاع الخــائب ــ على حد تعبير الشـــاعر ــ بين التردد على الحانات ، والخشوع لمجد السماء ·

وشعر محمد عاكف شعر سلس ، قريب التناول ، ينبض بألحان الطبيعة الأزلية ، ويحتشد بالرموز المادية والروحية ذات الدلالة الواضيعة على أنه بمقدور الشاعر أن يقرأ أجمل المعانى في الأحجار المعطمة على الأرض ، في اللها ، في الشراع الذي يجتاز النهر ، وفي الصحاري

والشموس والأقمار والورد ، وبمقدوره فى نفس الوقت أن يضمن هذه الأشعار التقارير الرسمية الجافة ·

وهذا الشعر ينم عن ثقافة انسانية متنوعة ، تجمع بين الدين ، والعلم ، والتصوف ، والتاريخ ، فضلا عن المعرفة الحية بالأدب الشعبي ·

اما الحزن الذي يرف به فيرجع في السبب المباشر الى الآلام المبرحة التي عاناها الشاعر نتيجة لضياع المثل العليا التي كان يتمسك بها ، والى المسائب المتالية التي رآها تنزل على العالم الاسلامي ممثلة في اجتياح الغرب للشرق وقدرته على شل تفكيره ، وانتشار الفقر والمرض والبطالة والمظالم والخراب في ربوعه ، بعد ان كان مصدرا لعمران التاريخ ، وموطنا للتوحيد ، تتفجر رماله بالرسل والانبياء قبل أن يبرق أي ايمان في سماء العالم ،

فى معرض هذه القضية الأساسية ، ترتفع أنات الشاعر متأسيا على من يحبو على الأرض مثل الرضيع _ ويقصد به الشرق _ بينما العالم يعدو ، والبشر يقفون فى الغضاء للسيطرة على الجو ، ويتحكمون فى اعماق الأرض والبحاد ، ويسيطرون على الزمن .

ومع هذا لم يبأس محمد عاكف مطلقا من هبوب نفحة الهية تصدر من الذات ، تحرك الشعور الجامد في هذا

الشرق • تدفع بعيدا هذا الكابوس الجاثم على الصدر • تحرق بالنار الأفكار البالية ، وتبيد البيئة التي تحولت الى مأتم ، وتقشم الليل الطويل ، وتوحد الجهود الفرديـــة المستتة بعمل جماعي واحد ، حتى ينهض الشرق مطالب بحقة في الحياة الحرة التي تليق بماضيه العريق وبكرامته الإنسانيـة ٠

على ان هموم محمه عاكف لم تكن هموما قومية وحسب ، كما تعبر هذه الكلمات ، ولكنها كانت تضرب أيضا في الآفاق البعيدة للكون الموحش ، كون القرن العشرين الزاخر بالوان العبودية ، بحثا عن المعنى الضائع في لجهة الزمين •

و المساء ٥ ٤ القاهرة ١١ ديسمبر ١٩٨٠ ٠

(م ٨ _ الكتابة)

115

أندريه مالرو

في الثالث من شهر نوفمبر ١٩٠١ ولد الكاتب الفرنسى الدريه مالرو • وفي الشالث والعشرين من نفس الشهو سنة ١٩٧٦ رحل عن عالنا ، بعد حياة حافلة بالإبداع الفكرى والنضال العملى ، تكريسا للحرية الإنسانية ، واعالاء من قيمة الفن الذي يظل حاضرا حتى بعد موت الانسان •

ولأن حياة أندريه مالرو هي مصدر عطائه الخصب في الفن ، لا معدى عن الالمام بحياته ، سواء في مرحلة الطفولة البغيضسة التي عاشها ، ووصفها بأنه لا يحبهما ، على عكس أغلب الكتاب ١٠ أو عبر خيبة الأمل التي مني بهما المرة بعد المرة ، ابتداء من زعزعة القيم والمبادىء العظيمسة في أوربا ، تحت تأثير الحرب العالمية الأولى ، وأثناء المارك التي خاضها بنفسه أو تعرض لها ، في الشرق والغرب ،

على أن أبرز معالم رحلة الحياة انتحار جهه سنة ١٩١٣ ، وأندريه في الثانية عشرة من عمره ، والتحاقه بعد اتمام درانسته الثانوية في مدرسة كوندورسيه بمدرسة اللغات الشرقية حيث تخصص في اللغة السنسكريتية ،

وفى سن العشرين ، سنة ١٩٢١ ، اصدر مالرو اول كتبه « اقمار من ورق » وهو ديوان سيريالى من الشعر المنثور ، رسم لوحاته الفنان فرنان ليجيه ، وأهداه الى ماكس جاكوب ، أشهر دعاة المدرسة التكعيبية .

بعد ذلك بدأت حياته العملية تتخذ منعطفا جديدا التزم به في مستقبل الأيام ، يتحقق فيه الفكر النظرى من خلال الفعل العملى ، وذلك بالسفر الى أقصى الشرق للبحث عن الآثار البوذية القديمة في كمبوديا ، لاعتقاده الراسم بأن الحضارة الشرقية هي التي تلقى الأضيواء على حضارة الغرب •

غير أنه لم يلبث أن أنضم سنة ١٩٢٣ ... ١٩٢٥ الى منظمة الثورة في الهند الصينية التي تهدف الى الاستقلال الوطني عن طريق التحرر من الاستعمار الفرنسي وفي السنية التالية مباشرة انخرط في الصراع ضد الادارة الفرنسية في فيتنام الجنوبية ، وكتب عدة مقالات في افتتاحية مجلة الهند الصينية ، ويندد فيها بكل أشكال الاستعمار ،

عاد أندريه بعد ذلك الى فرنسا · ولم تكد تمضى عدة سنوات حتى أوفد سنة ١٩٣٤ في بعثة أثرية جديدة

الى صحراء الجزيرة العربية ، ثم اتجه من باريس ، بصحبة أندريه جيد ، الى برلين للدفاع عن المتهمين بحرق البرلان الألمانى ، وهناك شاهد معسكرات الاعتقال الألمانية البشعة ، وفي سنة ١٩٣٦ شارك في الحرب الأهلية الاسبانية مع طليعة المثقفين الأوروبيين للدفاع عن الجمهورية الأسبانية ضد الفاشيست الأسبان ،

كما شارك مالرو في الحرب العالمية الثانية في فرقــة المدرعات الغرنسية ، وأسره الألـــان أكثر من مرة ·

وعندما وضعت الحرب أوزارها دعاه صديقه ديبجول الى ١٩٤٦ ، ثم تولى سنة ١٩٤٨ ، ثم تولى سنة ١٩٥٨ وزارة الثقافة في حكومة ديجول الثانية ٠

وتستحق صلة مالرو بديجول وقفة خاصة ، لأن مالرو ذكر قبل وفاته انه كان يستوحى من ديجول جهاده ، وصموده ، وقدرته على الابتكار • ولذلك اعتزل مالرو السياسة منذ سنة ١٩٦٩ اثر استقالة ديجول ، تاركا آثاره الواضحة على الآداب والفنون الفرنسية ، في المرحلة التي تولى فيها وزارة الثقافة •

هذا عن حياة الدريه مالرو العمليـــة في خطوطهـــا العريضــــة ٠

اما انتاجه الأدبي والفنى فنستطيع أن نرى بوضوح انه تحت تأثير ايمانه العميق بعضارات الشرق في مصر والصين والهند وايران صدر له سنة ١٩٢٦ كتاب « غواية المغرب » ، وهو عبارة عن رسائل متبادلة بين شاب صينى وشاب فرنسى ، صيغت في شكل حوار بين حضارة الشرق المريقة وحضارة الغرب الآفلة ،

تلا ه غواية الغرب » روايته الأولى « الغزاة »١٩٢٨ التى اتخف مادتها من اضرابات العمال الصينيين في شنغهاى ، ثم روايته « المملكة العجيبة » في نفس السنة • ثم رواياته الثلاث التى حققت له مجدم الأدبى وهى :

« الفاتحون » ۱۹۲۸ ، و « الطريق الملكى » ۱۹۳۰ « وقدر الانسان او الوضع الانسانى » ۱۹۳۳ التى نال عليها جائز جونكور العالمية •

كذلك صدر لمالرو سنة ١٩٣٥ رواية « زمن الازدراء » التي استوحات من معسكرات الاعتقال الألمانية . وفي ١٩٣٧ صدرت رواية « الأمل » عن الحرب الاسبانية ، وقد فازت ايضا سنة ١٩٤٥ بجائزة ديلوك ، وفي سنة ١٩٤٣ صمدر الجزء الأول من روايت « صراع الملائكة » بعنوان « اشجار الجوز في التنبرج » .

ويلاحظ النقاد على هذا الانتاج الروائي غلبة العنف والدموية ومظاهر الوحشية ومواقف البطولة والموت ، نتيجة يقين الكاتب بأن جوهر الإنسان لا يتجلى الا ساعة الخطر ، ويمثل هـــذا التجلى ، حين تكون غاياته سامية . القانون الإخلاقي للعالم والكون ، وشرف الانسان ·

على أن انتاج مالرو في فلسفة الفن الذي تطلع به الى بعث حضارى عظيم ، تتوحد به الانسانية ، لم يبدا الا متأخرا بعض الشيء سنة ١٩٤٧ بعد انتاجه الروائي ، وذلك بكتاب « سيكولوجية الفن » وهو يتألف من ثلاثة أجزاء كتبت بوحى من معرفته بما تضمه متاحف اوربا وروسيا ، واحاطت بفنون الشرق ، وهي : « المتحف الخيالي » ١٩٤٧ ، « الخلق الفني » ١٩٤٨ ، « نقد الطلق » ١٩٤٨ ، « نقد الطلق » ١٩٤٨ ،

وفي سنة ١٩٥١ اضاف الى هذه الكتب ٢٥٠ لوحة صدرت في كتاب « أصوات الصمت » ثم « تشكيلات او تناسخ الآلهة » ١٩٥٧ وفي ١٩٦٧ طلع على قرائه في أنحاء العالم بمجلد « اللامذكرات » ١٠ الذي اعتبره مالرو حلقة فنية تالية لرواية « الأمل » ١٩٣٧ وفيه يتحدث مالرو بافتتان عن ثلاثة من عظماء هذا القرن وهم ١٠ ديجول رنهرو وماوتسى تونج ٠

واتبجاه أندريه مالرو فى فلسفة الفن يعبر عن مفهوم خاص يرى انه الأنشودة التى يرددها التاريخ من خلاله يحقق الخلود للانسان أو البقاء الأبدى له ، من حيث تعجز الحياة نفسها عن ذلك ، بسبب استحالة استرجاع أى شيء كان .

ان الخلق والابداع عند مالرو ليس نقلا أو محاكاة كما تذهب الاتجاهات الكلاسيكية ، بل هو ابتعاد ازادى عن الواقع ، باختزال الشكل أو الحركة ، واقامة معادل لاكتشاف عالم نموذجي جديد .

وهذا المعادل معادل كامل تام الاستقلال ، لا علاقة بين العبقرية فيه والطبيعة . يتجاوز العالم المقيد بالزمان بان يحوره ويغيره وينتصر عليه في المدارج العالية للتطور . يصل بالإندماج الكلى في عالم انساني آخر غير مشروط . يصل من خلاله الأصل بقوة الأسلوب الكلى الى الغاية الكامنة في نفسه ٠٠ هذه الغاية التي آمن مالرو في حياته العملية بضرورة الصراع ضد القدر من اجلها ، لانها يمكن ان تمنح الانسان وجودا بلا خطيئة ٠٠ يماثل الوجود الوديع الساكن في التماثيل ٠

اما الصلة أو القاسم المسترك بين حياة مالرو وأدبه ومفهومه النظرى للفن فيتمثل في عدد من العناصر يصعب استشفافها في رؤية واحدة ، وستشغل النقاد بالطبع امدا طويلا في المستقبل •

الا أنه بالوسع الاشارة _ مجرد الاشارة _ الى ما نجه من تشابه قائم فى الموقف الكلى للانسان والحضارات أى للواقم الراهن والتاريخ · ان حياة مالرو حياة واقعية رغم ان شخصياته متوحدة تعيش منعزلة ، تتجاور دون ان يفهم احدها الآخر الافى لحظات الكفاح والمواجهة الحاسمة التى تسقط فيها الحواجر ، ويولد الاخاء ، وتتحقق الرفعة للانسان ٠

كذلك يجد مالرو أن العضارات نفسها التى تجمع اخيرا بين رفات الموتى تنطوى على أسرار خفية تعجز كل حضارة عن فهم الأخرى وتعيش هى الأخرى في عزلة عن سائر العضارات •

ولكنها كقيم حية مصدر كبير للمعرفة الخصبة ، وهى الدليل على كبرياء الانسان ، وعلى قدرته الخلاقة على الافلات من الوضع الانساني العابر ، على غرار كل صور البطولة المنتصرة في الأعمال الفنية ، أو الفعل المتمرد في الواقع العملى •

ه المساء ٤٥٤٥ أه ديسمبر ١٩٨٠ .

ناظمه حسكمت

شاعر تركيا العظيم • ولد في مدينية سالونيك في السابع من فبراير ١٩٦٢ ، وتوفي في الثالث من يونية ١٩٦٣ ، بعد حياة حافلة بالابداع والنضال في وطنه وفي المنفى •

وفى اللاكرى السنوية الأولى على رحيله ، سنة ١٩٦٤، اقيم له فى باريس حفل تأبين قــام بتنظيمه الشاعر لويس اداجون والفيلسوف جان بول سارتر •

قضى ناظم حكمت في سجن بروس التركى نحو سبع عشرة سنة وظل بقية حياته يعانى من الداء الذي أصيب به في السحبن و ومع هسدا كان يرى بحق ان السحبن في الوطن والتخفى من المطاردين باسم مستعار ـ اسم أوخان سليم ـ خير من أى مجد في المنفى ، بعيدا عن الوطن وعن لفته القومية وإغانيه وشعبه ، قائلا ان المنفى مهنة

شاقة _ أشبنع من الموت • وداخل جدران السجن ، وفي ظلماته الباردة ، كتب الشاعر أفضل أعماله •

ثار على الأشكال التقليدية فى الشعر ، ممثلة فى الأوزان الرتيبة فى العروض التركى ، التى تصائل أوزان العروض العروض التراكيب والصيغ اللغوية المستهلكة ، لأنها العروض القديم واللغة التقليدية التعوق تجديد الشاعر فى الشكل والمضمون ، على حين كان هدف ناظم حكمت تخطى الذات ، وتحطيم الحدود التى تفصل بين الشعر والحياة ، اعلاء للشعر والحياة ، ووضع الحركة والتغير مقابل السكون والثبات .

كان هدفه ، في كلمة ، مواجهة العصر وبهذا الموقف استطاع ناظم حكمت أن يرتفع الى روح العصر بقامة عالية، وان يعبر بأصالة عن القضايا الأساسية للبسطاء ، في أنحاء المالم وعلى مدى التاريخ ، ليس بالشامارات المسكوكة سلفا ، التي لا تحمل رصيدا من أى نوع ، وانما بالارتباط الحميم بين ذات الشاعر وموضوعه ، بين الخاص والعام ، وامتزاج الواقع بالأسلطورة ، مستلهما مادته من التراكي العريق ،

وفى قصيدة لناظم حكمت على لسان فتاة من ضحايا قنبلة هيروشيما التي فتكت بالآلاف ، يقول الشاعر معبرا غن موقفه الانساني : ((انكم لا تستطيعون أن تبصرونى لأن الأجيساء لا يبصرون الوتى

انئي فتاة من هيروشيها ٠٠

في البدء مست النار غدائر شعرى ،

ثم احترقت عینای ویدای ۰

ثم أصبحت حفنية من رمياد

تلروها الرياح •

ائني أطرق أبوابكم جميعا •

یا آهیلی من بعدی ۰۰

کی تعطیونی عهیدا ،

بالا يقتل الأطفال أو يحترقوا ٠٠ »

والقصيدة كما يبدو للقارى، بجلاء على درجة واضحة من الكثافة والتركيز · انها اشبه بطلقة رصاص مباشرة ،أو كحد السكين المرهف المسنون ·

ان العالم الذي تخلقه القصيدة عالم فاجع ، يختلط فيه الموتى بالأحياء ، دون ان يرى الأحياء الموتى ولكن الموتى يستطيعون أن يروا الأحياء ، والفتاة التي تتحدث برقة أنثرية تصف بدقة كيف أن النار

· اشتخلت أولا في غدائر شعرها ، لأن الشعر أسرع في التقاط النار من باقي أعضاء الجسم • • ومن شعرها الى عينيها •

هذا هو المصير الذي نزل بالفتاة • وحتى لا يتعرض أحد من بعد الى ويلات مماثلة ، تطرق هـــنم الفتاة ــ من عالم الموتى ــ أبوابنا ، وفي هذا تهكم بالغ ، لانه لم يحدث من قبل أحد من الأحياء المعاصرين ، لكى نعاهدها بالا يتعرض الأطفال ــ رمز المستقبل ــ للقتل أو الاحتراق •

ويرجع غنى تجارب ناظم حكمت الشعرية الى جمعه بتمكن بين الثقافة الشرقية ـ وتتضمن العربية _ وبين الثقافة الغربية ، والى قدرته الخلاقة على صياغة الفولكلور القديم من خلال رؤية حديثة ، تنبع من القرن العشرين الذي كان يفخر في قصائده بالوجود فيه ٠٠

والى جانب القصيدة التي عرف بها كشاعر كتب ناظم حكمت المسرحية والرواية والمقال الأدبى ·

وناظم حكمت من الشعراء الذين حاربوا طبقتهم • فقد انحدر من طبقة اقطاعية ، الا أنه لم تبهره المكانة الارستقراطية التي كانيمكن ، لو اراد أن يتمتع بها ، كابن لمدير المطبوعات العام ، وحفيد لوالي سيورية في حكم العثمانيين • وانما ناضل في سبيل الاجهاز على كل صور الاستغلال والمظالم اللا انسانية ، سيواء بالكلمة أم الفعل •

كما شارك ناظم حكمت فى حرب التحرير التركية ، التى استعرت معاركها على هضبات الاناضول ، واتصل بكمال اتاتورك ، الذى دعا الى تحديث تركيا ، وقام بايفاد ناظم حكمت الى روسيا ، تقديرا له ، لدراسة الاقتصاد السياسى •

وخلال هذا النصال الطويل ، المرتبط بمفهومه الملتزم للابداع ، لا كمظهر من مظاهر الترف والوجاهة الاجتماعية الكاذبة ، تأكد لديه ان النــور لن يخــرج من الظلمــات الا بالكفاح ، والاصرار على أن نعيش حياة انسانية خالية من الظلم والمــآسى ، في العالم الفسيح الارجاء .

ومع ان ناظم حكمت كان على وعى تام بانه سيمضى الى الثرى وهو يحمل حسرة أغنية لم تتم ، الا أنه لم يفقد تفاؤله أبدا في قدوم الربيع .

لا المساد ؟) القاعرة ؛ ٢٧ توقمبر ١٩٨٠ . ٠٠٠

نيسكولاي استروفسكي

احتفلت الأوساط الأدبية في الاتحاد السوفييتي ، في أواخر السنة الماضية ، بمرور ٧٠ سنة على مولد الكاتب الروسي نيكولاي استروفسكي ، الذي ولد في احدى قرى أوكرانيا سنة ١٩٠٤ ، وتوفى في موسكو في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٣٦ ، عن ٣٧ سنة ، قضى منها السنوات الثماني الأخيرة وهو يعانى من المرض الذي أودى به ٠

كان نيكولاى الابن الخامس لأب فقير ، من الطبقة العاملة ، وأم غسالة • ولهذا لم تتيسر أمامه الفرصية لكى يتعلم ، واضطر ، تحت تأثير الحاجة الملحة ، أن يعميل في سن التاسعة راغى غنم • وفي سن الحادية عشرة التحق بيوفيه احدى معطات السكة الحديد ، كعامل مطبخ ، عقب اندلاع الحرب العالمية الأولى •

ويذكر استروفسكى، فى أحاديثه المخاصة التى كان يفضى بها الى عواده، أثناء المرض الطويل، أن حب الفطرى للموسيقا كان يدفعه الى الوقوف وراء الشبابيك المغلقة، لكى ينصت اليها ولم يكن يستطيع الدراسية فى مدرسة القرية الالفترات قصيرة جدا ولا يقرأ الافى الليل .

في هذه المرحلة الشاقة من الطفولة ، أصيب نيكولاى بمرض الروماتيزم الذى لازمه طوال حياته ، نتيجة للتعرض للبرد القارس في العراء ·

كما قرأ ، بفهم عميق ، تعاليم لينين ، الذى قداد الثورة الاجتماعية فى بلاده ، على المستوى النظرى والتطبيقى، واعجب الى غير حد بغاريبالدى ، محرد ايطاليا ، وحرك خياله اعمال ادباء روسيا الكلاسيكيين جوجول ، بوشكين، تورجنيف ، تولستوى ، تشيكوف ، جوركى •

والطريف ان موهبة استروفسكى الأدبيسة لم تظهر وتؤتى ثمارها الافى السنين الأخيرة من حياته القصيرة ، وبالتحديد بعد مسنة ١٩٣٠ ، حين احس ، وسسط آلام المرض ، وفقد البصر ، الذى أحال كل شيء من حوله الى ليل قاتم ، بأن قوة الحياة تناديبه لكى يقاوم هذه الأقدار التعسة ، فليس أروع للانسان _ كما أشار _ من أن يستطيع الاستدرار في خدمة الجنس البشرى حتى بعد أن يستطيع الاستدرار في خدمة الجنس البشرى حتى بعد

وهكذا اقتحم استروفسكى الحركة الأدبية بملكة مبدعة والا أنه لم يكتب سوى روايتين ، كتب بعض أجزائهما بيده ، وأملى الأجزاء الباقية على بعض أفراد اسرته ، وبعض أصدقائه المقربين •

ولم يكن يتمنى الا أن يمتــه به العمر خمس ســـنين أخرى ، فقط خمس ســـنين أخرى ، حتى يتم الجـــزءين الثانى والثالث من روايته الثانية .

غير ان الروايتين : ((كيف سقينا الفولاذ)) و ((ولد في العاصفة)) كانتا كافيتين لكى يحفظا اسم استروفسكى بين الأدباء المقاتلين في تاريخ الأدب الروسى ، فقد طبعتا عشرات المرات ، وعرفتا على النطاق العالمي ، عن طريق الترجمات العديدة .

والذين زاروا الاتحاد السوفييتي يذكرون أن منزل استروفسكي الذي توفى فيه ، بعد ان عجز عن الحركة ، تحول الى متحف ، يرتاده قراء أدبه من السوفييت ، ومن جميع الأجناس .

وتعد شخصية بافل كورتشاجن الحيوية ، في روايته الأولى التي انتهي من تأليفها سنة ١٩٣٣ ، خير تعبير عن البطولة الجادية في عصرنا الراهسن ، وهي من أعظلم الشخصيات التي خلقت لها أصدقاء من القراء في كل مكان،

ولا يدانيها في صدقها الا شخصية بافل فاسلوف ، في رواية « الأم » لمكسيم جوركي ·

ذلك أن المؤلف جسد فيها البطولة الطبيعية المتطورة للطبقة العاملة ، والصفات المثلى للجيل الجديد الشاب الذي صنع الثورة الروسية ، وكرس قواعد النظام الاشتراكى المتقدم من أجل سعادة الانسان ·

يقول الناقد الأدبى كورنيلى زيلنسكى فى كتاب « الأدب السوفيتى - المساكل والناس » فى الفصل الذى عقده عن البطل الحديث: ان رواية « كيف سقينا الفولاذ » تعد واحدة من الوثائق أو السجلات البشرية المتميزة ، التى تقعى بضوئها على كل العهود التاريخية •

تحكى الرواية عن حياة المؤلف نفسه غير العادية ، من الطفولة وفي أحد فصولها تصور كيف كان استروفسكى يقطع الخشب بالبلطة مع زملائه ، وهم حفاة الأقدام ، الثلج يتساقط عليهم ، ولا يجدون مكانا للنوم ولا طعاما ، بحيث أنه كان يبدو أن الطاقة البشرية لم يعد بوسعها أن تتحمل كل هذه التعاسة ، لولا أنها وجدت منفذا لها في الحماسة الذاتية والثقة التي تشم بها النفوس حيال النظام الجديد •

 التخوم ، بما تضمنت من حقائق تاریخیة عدیدة ، حاول استروفسكی أن یصنع بعضها بیدیه ، وبما تضمنت أیضا من حیاة جدیدة أعلنت میلادها ، من أجل سعادة الجنس البشری •

تناول استروفسكى بطله ابتداء من طفولته ، مبرزا للقارىء كيف أن عقل البطل وشخصيته تشكلا فى غضون مقاومته للأوضاع الاقتصادية للحياة ، وتخلق حياة جديدة فوق أرض الآباء ، يدفع اليها احساسه الداخلى بانه سيد كل عمل ، وسيد الأرض نفسها .

واستروفسكى يرى ان الذين ليس لديهم استعداد للنضال لصالح القضايا العامة ، لا يستطيعون ، بالتالى. أن يدافعوا عن قضاياهم الخاصة ، كما أن الذين يرتبطون بقضايا عامة ، لا يمكن الاجهاز عليهم الا بالاجهاز على الوسلط المحيط بهم ، ان لم يكن الا بالاجهاز على الوطن كله ،

ولعل هذه العقيدة الجدلية أن تكون سر الجسال الروحي لهذا البطل الشاب المقاتل ، بافل كورتشاجن . الذي يجسد صورة جيل بأكمله ، خاصة وأن الرواية ليست وحسب رواية نضال بافل ، بل رواية حب أيضا . وصداقة متينة ، بينه وبين ريتا استينوفتش .

اما الرواية الثانية ، ((ولد في العاصفة)) ، التي ظهرت يوم وفاته فقد كتبها استروفسكي وسحائب الحرب الكبرى الثانية تتجمع فى الأفق · وقد أراد من ورائها أن يظهر للجيل الجديد من الشباب الروسى ، الذى تربى فى ظل المجتمع الاشمتراكى ، من هم أعداؤه من الامبرياليين ، الذين يحيطون به ·

يقول المؤلف في هذا الصدد ، موضحاً هدفه الحقيقي: ((لقد كتبت هيله الصفحيات لئلا تفقد أي يد صغيرة شبجاعتها في المعارك القادمة أذا وثقت بنا)) •

وتستحق صلة نيكولاى استروفسكى بثورة بلاده سنة ١٩١٧ وقفة خاصة ، فقد وقف الى جانبها دون تردد ، وحاول فى أغسطس ١٩١٩ ، وهو فى الخامسة عشرة من عمره ، أن ينفسم الى الجيش الأحمر ، ولكنه لم يستطع لصغر سنه ٠

ومع هذا فقد اخذ مكانه في معارك وطنه ، في الحرب الأهلية ، سنة ١٩٢٤ ، وهو في العشرين ، وجرح مرتين ، وفقد بصر احدى عينيه ، مما اضطره الى أن يمكث شهرين في المستشفى • وأصبح عليه أن يترك الجيش ، ويخوض معارك أخرى ، من أجل ولادة العالم الجديد الذي تطلع اليه مم العمال والفلاحين •

ولأن استروفسكىكان يدرك أن الحياة توهب للمرء مرة واحدة ، لذلك كان يلج على أن تخلو تماما من الألم ، ومن الحس بالأسسف على السنين الماضية ، السنين الضائمة ، ويحث المرء على أن يحيا هذه الحياة الواحدة ، بحيث لا يتحول الماضي الى شيء شمائن ، بل يبقى ناصعها •

وعندما اضطره المرض الى ملازمة الفراش ، وسط الحيطان الأربع ، بدأ صراعا رهيبا ، قرر فيه أن ((يعطى المحياة معنى)) ، وقد كانت هذه العزيمة الصلبة تتجه اتبعاها جماهيريا عاما ، ملتزمة بالمبادىء الاشتراكية ،

یکتب نیکولای فی احد خطاباته الی صدیق ، مصحا عن مقاومته الشنجاعة للعجز والمرض : ((ولا یعنی أنی مقید علی فراش أنی وجل مریض ، هده لیست الحقیقة ، دند! کلام فارغ ، اننی اتمتع بصحة جیدة)) ،

وتورد بعض المقالات التي كتبت عن استروفسكى نص خطاب مهم ، ارسله اليه رومان رولان ، بعد أن قرأ روايته الأولى ، وأظن انها خير ما يختم به هـــذا المقال ٠٠ يقول رومان رولان في هــذا الخطاب :

لا بالنسبة الى ، فان اسمك مرادف عندى الأندر وانقى شبجاعة أدبية • اننى معجب بك ، ومحب ومتحسس لك • ويمكنك أن تكون متأكدا أنه على الرغم من أنك عرفت أياما كثيرة عابسة فى حياتك ، فستكون همذه الحياة منارة الإف عديدة من الناس •

سوف تبقى نافعا للعالم ، مثلا نبيلا لانتصار الروح. على غدر النهاية » •

لا للساء 6 6 القامرة 6 6 مايسو 1970 ،

شـــولوخوف

تشكلت في الاتحاد السوفيتي لجنة على أعلى مستوى للاحتفال بالكاتب العظيم ميخائيل شوخولوف ، بمناسبة بلوغه سن الستين ، في الرابع والعشرين من مايو القادم •

ومبخائيل شولوخوف ، عضو اكاديمية العلوم في موسكو ، والحائز على جائزة لبنين ، وجائزة نوبل ، اكير كاتب سوفيتي معاصر ، ومن أكثر الكتاب العالمين شعبية ورواجا ،

ذلك ان مزلغاته طبعت . حسب الاحصاءات الدقيقة . ٦٠٠ طبعة ، وتبلغ نسخها ٤٥ مليون نسخة ، وتنتشر في ثلاثين بلدا ، عبر ٩٠ لغة ، من بينها لغتنا العربية ٠

والكلمة التالية محاولة سريعة للتعرف على الكاتب المالمي , وعلى أعماله الروائية الذائعة ·

ولد ميخائيل شولوخوف سنة ١٩٠٥ . في احدى قرى بلاد القوزاق ، على مقربة من نهر الدون ، جنوب شرف الاتحاد السوفيتي ٠

وحين نشبت الحرب الأهلية في منطقة الدون . بين الحرس الأحمر من جهة ، وفرسان الدون الأبيض من جهة مقابلة ، ترك شولوخوف المدرسة الثانوية سنة ١٩١٨ ، وهو في الثالثة عشرة من عمره ، والتحق باحدى فصائل التموين للحرس ، دفاعا عن ثورة بلاده الناشئة ،

ومنطقة نهر الدون هذه ، التى لا يزال شولوخوف يمارس فيها ، الى الآن ، هوايت المفضلة ، صيد السمك والطيور ، على شاطىء بحيرة كازخستان ، هى المنطقة التى خلدها في ملحمت التراجيدية الكبيرة ((الدون الهادىء)) وهى الرواية الوحيدة ، في الأدب السوفيتي، التى تعانق ها الرحلة الدقيقة من حياة القوزاقيين في القرن العشرين ، على مدى عشر سنين ، من سنة ١٩١٢ المناصة ، في الحب والمفسم خلالها بصفاتهم وعواطفهم الخاصة ، في الحب والمفسب ، ونعايش عاداتهم ، ودورهم في السعبية ، وازياءهم ، وتجاربهم في السلم ، ودورهم في الحرب الكبرى الأولى ، ورد فعل ثورة اكتوبر ١٩١٧ على نفومسهم ،

 تكون موضوع هموم شولوخوف الرئيسية ، لعمق الدلالة التي تشف عنها ، وعمق النتائج التي ترتبت عليها ·

وكان شولوخوف قد جند سنة ١٩٢٠ في الجيش وأثيح له أن يطوف أرض الدون ، ويتشرب طبيعتها ، ثم اشتغل افترة عامل نموين ، وشارك ، حتى سنة المجاعة ١٩٢٢ ، في طرد الحصابات المغيرة على هذه المنطقة ٠

على ان حياته الأدبية الجادة لم تبدأ الا سنة ١٩٢٣ ، حين ظيرت في الصحف الروسية محاولاته الأولى التي كتبها في سن الثامنة عشرة ، وهي السن التي يبدأ فيها الكتاب ، عادة ، بدايتهم الحقيقية ،

وقد صدر انتاج هذه المرحلة المبكرة في كتابه الأول (حكايات على نهر اللوق) سسنة ١٩٢٦ ، بعد مسنة من بدء كتابة روابته الشهيرة ((اللوق الهادىء)) ، التي نشر الجزآن الأول والشاني منها سنة ١٩٢٨ ، والجزء الشالت سسنة ١٩٢٨ ، أما الجرزة الرابع فلم ينشر الإ سنة ١٩٤٠ ، أي بعد ١٥ سنة من تأليفها ، كما هي يذهب النافد الأدبي ك زيلنسكي في الفصل الذي عقده عن شيروخوف ، كتابه : ((الإدب السوفيتي : المساكل والناس)) •

لشولوخوف ثلاثة اعمال روائية كبيرة ، تقع الأولى، ((اللدون الهادىء)) ، في ثلاثة آلاف صفحة ، وهي روايـة تتضافر فيها الابعاد الاجتماعيـة ،

والتعبيريــة بالواقعيــة · ومن الصعب تلخيصهـــا الا اذا استطعت أن تقبض براحتيك على شلال هادر ·

أما الرواية الثانية ((حيراث الأرض البيكر » أو ((الأراضي الستصلحة)) على تباين في ترجمية المعنوان في قدمت المعنوان في قدمت المجزء الأول منها سنة ١٩٣٢ ، وفي ١٩٥٩ نشر جزرُها الثاني ، الذي لا يرقى في قيمته الى مستوى الجزء الأول ، النابض بالحقيقة .

تتناول هذه الرواية ذات المسحة التاريخية الصريحة مرحلة التحول القاطعة فى حياة المجمعات الزراعية ، فى احدى قرى القوزاق ، التى أقبل عليها ، قادما من ليننجراد ، بطل الرواية سيمون دافيدوف ، وانخرط ضمن ٢٥ الف عامل ، كان عليه أن يقنعهم بدروسه بفكرة المزارع الجماعية ، حتى يرتفع الاقتصاد الروسى .

وتبلغ الصلة الحميمة بالحيوان ، التى تشيع فى جميع اعمال شولوخوف ، حد أن تجىء احدى الشخصيات فى منتصف الليل ، لكى تقول وداعا للحيوانات ، قبل أن ترحل فى صباح اليوم التالى الى المزارع الجديدة .

وتنتبی الروایسة نهایسة تراجیدیة بمصرع البطل دافیدوف ، بید اعداء السوفییت وعلی نفس الشاکلة یتم مصرع ناجلنوف ، الذی کان یحلم بالسالم الثوری الآتی ه ومن النقاد من يذكر أن النماذج الاجتماعية للفلاحين رسمت ، في هـذه الرواية ، بحيوية مدهشة ، خاصـة وهي تتطلع مع ناجلنوف الى العـالم الثورى ، ثود أن تعيش حنى اللحظة التى تؤدى فيها الآلات _ بدلا من الإنسان _ كل الأعمال الشاقة ، وينسى فيها الناس رائحة العـذاب •

وتشكل الحرب الوطنية الكبرى ضد النازية الألمانية ، التى عمل شولوخوف اثناءها ، للدة أربع سنين ، مراسلا حربيا على جبهات القتال ، المادة الخام لروايته الحالية ((قاتلوا في سببل الوطن)) ، التى لم تتم بعد ، ولو أن التكهنات _ مستندة الى ومبة شولوخوف _ تومىء الى قيمتها الرائعة ، التى تبدت في عدد قليل من القصص القصيرة تعرضت لويلات عذه الحرب العالمية ،

وشولوخوف من الكتاب الذين تعرضوا ، في حياتهم الأدبية ، لهجوم شديد ، داخل بلاده وخارجها ، واول هجوم نزل عليه ، في الداخل ، اتهامه بالذاتية ، لا متماعه الملحوظ بحياة الفرد و مصيره ،

ويعد هذا الاهتمام الذى اخذ على شرارخوف ، في يقين النقد الحديث ، مسلمر قوته واصالته ، وهو الجوهر المتالق الذى يشم به انتاجه ، على اعتبار ان الفرد هو الذى يحمل على جبينه دائما بصمات الأحداث التى تقع في العالم الخارجي ، الذى لا يقل قيمة ، بالعلم عند

انظر مثلا الى شخصية جريبورى ميليكوف غير المالوفة ، بطل (الله ون الهادىء) . تجد أنه من المستحيل على الكاتب أن يرسمها وهى تعيش سينوات الشمك القاسية ، في حالة من حالات التردد ، وتعانى اخطار الحرب والثورة ، الا بالتركيز على الجانب الذاتي ، الذي بطوقه أن يبرز ، وحده ، مدى المقاومة الباسلة الشريفة للسخصية الانسانية ، وردود الفعل القوية على نفسها ، التي تبحث باصرار عن الحقيقة حدف الحياة ، ومعناها السحيح ،

واعتقد أننا في الشرق ، شعوب آسسيا وأفريقيا ، نستطيع أن ندرك سلامة المنحى الذي ينحوه شولوخوف ، ونحن نرتكز على تراث روحى يعنى بالجانب الباطني للنفس البشرية •

اما أعداء الاتحاد السوفيتي في الخارج، فقد استغلوا أدبه أيضا للتنديد بفشل النظام التعاوني، الذي سقطت فيه الملكية الخاصة، في الترجمة الفرنسية الناقصسة، بتكتل النساء وتمردهن على هذا النظام •

كما أنهم اسقطوا عمدا ، فى الطبعة الانجليزية ، مائة صفحة من النص الأصلى لرواية ((حراث الأرض البكو.)) تتناول انتقال القوزاقيين الى جانب لينين ، تحت قيادته المناضلة ، والغشل الذي منى به اعداء الثورة والحسركات المناهضة لها ، بحيث تبدو عقيدة شولوخوف ، أو ولاؤه السياسي على الأقل ، موضع شك كبير ، وغير تام النقاء .

وعقب صدور ((اللون الهاديء ») أثيرت اكثر من اشاعة تشكك في صحة ملكية شولوخوف لها ، وتدعى ، للنيل منه ومن الأدب الروسي معا ، ان كاتبها ضابط من الحرس الأبيض •

وعندما فشل هــــذا الادعاء زعموا ان شـــولوخوف ليس وحده مؤلف الرواية ، بل يشترك معه فيهـــا كاتب وناقد مغمور ، يدعى س٠ غولوشيف ٠

الا أن كل هذه العواصف لم تستطع البتة أن تقتلع موهبة ذات جدور كامنة في بان الأرض ، على وعى بالغ بوظيفتها ، وملكة نادرة من ملكات العصر ، على هذا الغرار من النضيج والتفتح ، عرفت كيف تدوب في حياة الفلاحين ، والعمال ، والجنود ، والصيادين ، في حياة الرجال والنسياء والشيوخ والأطفال ، وكيف تعبر عن حقائقها الواقعية العارية ، المليئة باللم والأحلام ، بأصالة وتمكن ،

ورغم أن شولوخوف لا يتحدث كثيرا عن فنه ، فقد قال في الكلمة التي القاها في السويد سنة ١٩٦٥ ، عند تسلم جائزة نوبل :

((احب لكتبى أن تساعد الناس على أن يصبحوا الفضل ، وآكثر ثقاء في القلب ، لكى تستثار فيهم محبة الانسان ، والرغبة في أن يصبحوا مقاتلين نشطين ، من أجل كمال الانسان ، وتقدم الانسانية)) •

ثم 'يقول في موضع آخر من هذه الكلمـــة الميمــة ، موضحا مفهومه النظرى للكتابة :

((لقد رايت وارى أن واجبى ـ واجبى كتاتب ـ أن أدفع بكل ما كتبت ، وكل ما ساكتب في المستقبل ، جزية لهؤلاء الكادحين ، هؤلاء البنائين ، هؤلاء الإبطال الذين لم يهاجموا أحدا على الاطلاق • بيد انهم كانوا دائما قادرين على الدفاع عن حريتهم ، ومجدهم على الدفاع عن حريتهم ، ومجدهم وحقهم في خلق مستقبل من محض اختيارهم)) •

بوحى من هذه الرؤية يتجه أدب شولوخوف الى الانسان ، انسان هذا العصر ، معبرا ، باستيعاب شامل ، عن أسرار القلب البشرىلبنى وطنه ، وعن الروح الانسانية ، والاقدار الانسانية لبنى وطنه ، فى صراعها مع نفسها ،وهى تمضى ـ تحت أقسى الظروف ـ على الطريق المؤدى الى الثورة ، الى الحياة المجديدة ، حيث يتكشف المؤلف ، خلال هادا الطريق ، فضائل وعيوب هذا الانسان ، انتصاره الموقوت ، وهزيمت المحتومة ، كما يتكشف علاقاته بالمجتمع ، من حوله ، فى لحظات التمخض والميلاد ، أو فى لحظات الوحدة المضنية ،

وفى علاقاته بالتاريخ ، أيضا ، وارتباطه العاطفى بالطبيعة. التي لا يغيب عنه جزئية صغيرة من جزئياتها ، أن فى اللون أو الرائحة أو المذاق ، مهما دقت ، سواء أكانت همنه الطبيعة ماهولة بالانسان ، أم مقفرة .

غير أن تصدويره للطبيعــة تصدوير مقتصد . في موضعه . لا يجنح الى المغالاة المبتذلة ، أو التزيد العقيم .

يقول شولوخوف محددا مادة أدبه : ((أودت أن أكتب · عن الناس الحيطين بي ، الذين ولدت في كنفهم ، والذين أعرفهم جيدا)) •

ان الحياة السوفيتية المتحركة المتصادمة ، بكل مظاهرها وآقاقها ، الوادعة والفاجعة ، الناعمة والمريرة ، الزاخرة بالجمال والخسة في آن واحد ، التي يقف الكاتب في قلبها ، وتعيش قسماتها المميزة مع الشخصيات القوزاقية ، ممثلة في أكثر من جيل ، تتراءى دائما ، في أعمال شولوخوف ، عبر صياغة رصينة متقنة ، شديدة الاحكام ، مليئة بالصور والتشابيه الشعرية ، حفية بالخيال ، ومنسوجة بلغة فنية ساطعة ، قريبة جدا من لغة الشعب ، الذي لم يبتعد عنه الكاتب ابدا .

ولكنها ، فى نفس الوقت ، لغة رفيعة منتقاة ، ينصهر المؤلف طويلا فى خلقها ، ثم يكتب ببطء ، وعلى مهل ، حتى يصل بانتاجه الى أقصى ما تطيقه ادواته الفنيسة من تعبير .

ويتفق أدب شولوخوف مع أدب العمالقة الروس من كتاب القرن المــاضي في أشياء ، ويختلف عنهم في أشياء .

ولعل أهم نقط الاتفاق هذه الصيغة الكلاسيكية التقليدية للرواية في بنائها المعماري ، في الحس الاخلاقي الشيائم ، الذي بشف عنه العمل الأدبى برهته ، دون أي قدر من التحيز ، قد يودي بالعمل الفني من أساسه ،

ولعل أهم نقط الخلاف ، افتقاد البعد الميتافيزيقي ، الذي يسربل أعمال كاتب سابق مثل دوستويفسكي ، كان يعتبره طوق النجاة للمعذبين •

ان شولوخوف كاتب واقعى حسى ، كاتب محلى ، بالمعنى الحرفى للمصطلح ، مرتبط بالواقع وحده ، يقف على تخومه ، ويملأ يديه منه ، ولا يتخطاه ·

ومع هذا فهو كاتب انسانى بكل القاييس ، يغمس قامه فى الأدب الشعبى لبلاده ، مثلما يغمسه فى تيار الواقع المعاصر ، بكل ما يزخر به من مضض وأحلام عريضة .

وحسينا هـنه العطايا الباهرة التى نخرج بها مع الكاتب ، فى أعماله الأدبيـة الرائعة ، لكى نقبل عليها . ونتمتع بها ، المرة بعد المرة ·

[«] المسام» ، القاهرة ، ٦ أبريل ١٩٧٥ .

جسورج شسسعادة

ولد في الاستكثارية سنة ١٩٠٧ ، وأتم تعليمه الثانوي والجامعي في بيروت ، ثم هاجر الى باريس وأصبح من أعمادة السرح الفرنسي المعاصر ، يذكر استمه مع أعلام مسرح الطليعة ،

بدأ حياته شاعرا سيرياليا قبّل أن يتجه بكل ثقله الفكرى والفنى الى المسرح الشعرى الذى يعتبر الشسعر فيه قيمة أساسية تنشد لذاتها •

قسلم سسئة ١٩٥١ ((السسيد بوبل)) وفي ١٩٥١ ((أسسية الأمشال)) وفي ١٩٥٦ ((حسكاية ماسكو)) • والمسرحيتان الأخيرتان قام باخراجهما للمسرح جان لوى بادو • وفي سنة ١٩٥٩ قسلم ((أزهسار البنفسج)) وفي الستينات ((الرحيل)) و (مهاجر بريسبان)) •

وتعد « مهاجر بريسبان » أشسهر أعماله · وقد ترجمها الى اللغة العربية في سوريا رفيق الصبان ، وفي · مصر فتحى العشرى ·

ومسرح جورج شعادة يتحرك بافكاره الانسانية عبر غلالة من الرمز ، معبرا عن ماساة الانسان الماصر الذي يستبد به الملل والخرف والحاجة الى الدرجة التي يتنكب فيها الطريق •

وبسبب افتقاد هدا الانسان المساصر للمعنى في حاضره لا يملك الا أن يسترجع ذكريات المسافى ، أو يرف بأحلام المستقبل المجهضة ٠٠ مهاجرا للبحث عن هدا المعنى ٠

ولذلك يحيا انسان جورج شعادة في حالة غربة دائمة • وفي أسفاره يتعرض العداث ، كما يتعرض العالم الساكن من حوله الأحداث ، تنشأ نتيجة لسبوء الفهم أو سوء الحظ ، ثم تحتدم بالعنف الى الحد الأقصى •

ولأن جورج شحادة يضم نصب عينيه الشعر واللهو واللهو والمرح ، كما يقرد نصا ، نجد البشر في مسرحه يتحدثون الى الحيوانات ، مثل حديث الحوذى للحصان ، كما تتحدث الطيور مثل الببغاء عن البشر ، وتفضح جرائمهم القديمة التي واها الزمن ، وتتبدى الروابط بين الانسان والأشياء الجامدة .

والصمت في مسرحــه ليس أقل تأثيرًا من الكلمـــة الشاعرية ، المتحررة من ماضيها ، التي توحي بالعني •

ورغم أن مسرح جورج شحادة مسرح طليعى في مبناه، ينتسب الى حركات التجديد في المسرح المعاصر ، الا أنه في المرؤية الموضوعية وربما الدلالة المساشرة ، أقرب الى المسارح الكلاسيكية التى تناولت حياة أو ماسى الفلاحين بخاصة ، في قسماتها العامة ، وفي بعدها الأخلاقي ،

والحدث الواحد في هـذا المسرح هو الذي يكشف معدن الشخصيات المتفاوتة التي تتراوح بين الخير والشر ، صعودا الى العدك ، وهو الذي يجعلها تتبدى لنا تحت تأثيرها المباشر غنية بالتجربة كأنها كما تقول احدى الشخصيات :

_ قرأت آلاف الكتب •

على ان الحياة فى نظر جورج شحادة . القادم من الشرق الى الغرب ، ليست اثما وشرا محضا ، وانما هى أيضا طهر كامن ووفاء وطيد على نحو ما يتأكد المسامد لهذه المسرحيات التى تتخذ ساحاتها فى القرى الصغيرة الهادئة ، فى بيئة الفلاحين ، وفى الجزر ، وفى عرض البحار، وقمم الجبال ،

لا المساء ؟) القاهرة ؛ ٢٠ توقمير ١٩٨٠ .

البرتسو مورافيسا

دعت وزارة الثقافة المرية الكاتب العسالى ألبرتو مورافيا لحضور معرض القاهرة الدولى العشرين للكتاب ، اللى أقيم في أرض العسارض بمدينة نصر ، فيما بن ٢٦ يناير سـ ٨ فبراير ١٩٨٨ ٠

وألبرتو مورافيا كاتب ايطالى تضرب جلوره فى الثقافة الأوربية ، بدأ كتابة الرواية فى سن السادسة عشرة ، وله انتاج غزير يتسم بالوعى والفاعلية ، يقرآ فى جميسع أنحاء العالم ، صور فى بعضه ويلات الحرب ، وما تخلف أحداثها فى النفوس من شر ، يحل محل ما فطرت عليه من خير ، وتغلو فيه شخصيات النساء والرجال حطاما ووحوشا ضارية ، حين تهبط الحياة أو يهبط المجتمع المحيط بها ، من التسامى والحرية ، الى الانحطاط ، والضرورة ، والتفسيغ ،

كان اللقاء الأول مع مورافيا في مؤتير صحفى عقد في فنيدق ماريوت ، أجاب فيه على مجموعة من الأسئلة وجهها اليه عدد من الكتاب والصحفيين ، تعرض فيها مورافيا للعالم العربي ، موضحا ان مشكلته تتمثل في تعدد مستوياته الثقافية ، وأن القضية الفلسطينية التي اشترك مؤخرا مع ياسر عرفات في مؤتسر في الكويت حوليا ، تبدو في حاضرها ، كما يقول ، بلا حل ، على حين انه يرى امكان حالها في المستقبل ، واقامة الدولة الفلسطينية ، في اطار حلها في تتعايش الأجناس والديانات المختلفة ، على نحو

ذلك أن مورافيا ، من حيث المبدأ ، يقف ضد العنف واستخدام القوة ، ويتمنى أن تحل مشاكل العالم وصراعاته عن طريق الاقنماع .

وحتى لا يمضى مورافيا فى حديث السياسة ذكر انه ليس سياسيا ، فالأدب شىء والسياسة شىء آخر ، وكرر هذا القول فى اللقاء الثانى الذى عقد معه فى معرض الكتاب، موضحا الفرق بين السياسى الذى يبحث عن النسبى والمكن، والفنان الذى يبحث عن المطلق والمتخيل ، ولو أنه يرى _

على الأقل بالنسبة له كأديب وعاشــق للأدب ــ أن الأدب أكثر أهمية من السياسة •

ومع هذا فيمكن للروائى أن يستلهم السياسة كما يستلهم الحب وغيره • ولكن ليس واجبا عليه أن يفعل ذلك •

على الساسة وحدهم يقع عبء الفعل ، أما الفنان فكل ما يفعله أن يدلى بشهادته على العصر ، لأنه لا يعتقد ان للأدب وظيفة في حل مشاكل البشرية ، أو أن له رسالة تتجاوز حد « تطهير » المتلقين بالمفهوم اليوناني للكلمة .

اما من اراد الحكمة فليذهب الى الفلاسفة أو رجال الدين •

ووصف مورافيا الروايات السياسية بانها روايات سيئة فنيا، كما انها تعتبر ايضا دعاية سيئة والأفضل منها المقال أو الخطاب السياسي ، لأنه المجال الطبيعي لذلك •

وأخذ مورافيا على السياسيين عدم احتفالهم بما يقوله الأدباء • وضرب مثلا باتفاقية ريجان ــ جورباتشــوف لمنع القنابل الذرية ، وهى اتفاقية كان يمكن ألا تتم أصله لو أن السياسيين استمعوا الى الأدباء الذين حذروا منها •

ورغم ذلك فمورافيا ضه الالتزام ، لأنه يفرض على

الكتاب الولاء الشياء معينة ، بينما يرى أن الكتاب يجب أن يظلوا أحرارا •

وعن الحركة الأدبية المعاصرة فى ايطاليا ، ذكر مورافيا انها جيدة ، وأن هناك عودة مرة أخرى الى الاهتمام بالفن الروائي ، أكثر مما هو فى فرنسا أو انجلترا .

ولكنه اعتذر عن ايراد أسماء كتاب ايطاليا الجدد ، لأنهم يتغيرون من وقت الى آخر ، حيث ان معظمهم لايزال فى مرحلة التكوين • واكد مورافيا ان الرواية تحظى باعتمام كبير ، سدواء من قبل الجمهور القارىء ، أو من قبل الكتاب • وتعد الكتب الروائية التى تطبع وتنشر هذه الآيام فى ايطاليا اكثر من مثيلها عندما بدأ الكتابة •

بعد ذلك دافع مورافيا عن شخصياته التى توصف بانها سلبية ، قائلا انها تظهر ردود فعلها بافعال أخرى • وهـذا دليل على انها تتحرك ، وبالتالى فهى ليست سلبية •

كما اوضح مورافيا أن رواياته لها وجهان ، وجه شخصى خاص ، ووجه اجتماعى عام ، أو مشكلة فردية ، ومشكلة اجتماعية ومشكلة اجتماعية ومشكلة اجتماعية و غير أن المشاكل الفردية الخاصة ، في يقين مورافيا ، هي الأكثر أهمية ، لأن مسئولياتها في النهاية تكون على الفرد ، بينما لا تتحمل المجتمعات مثل. هذه المسئولية و

من هنا يهتم الروائى بالأفراد · والفنان الحقيقى هو الذى يلتقط الأشياء التى قد تبدو بسيطة ، ويصنع منها شيئًا كبرا ·

وعقد مورافيا مقارنة بين روايته ((زمن اللامبالاة)) ورواية ((اللاخوة كرامازوف)) لدوستويفسكى ، أوضح فيها أنه أذا كانت المسكلة في رواية دوستوفيسكى أنه أذا لم يكن الله موجودا فكل شيء مباح في العالم ، فأنه في روايته يطرح نفس الفكرة ، ولكن بشكل عكسى ، يقول أنه أذا لم يكن الله موجودا فلا شيء يمكن أن يحدث ،

ان البطل فى رواية مورافيا ، يسعى لاغتيال أمه · سوى ان المسدس فى يده لا ينطلق ، لأن الدافع المعنوى لم يكتمل ·

ويرى مورافيا ان مثل هذه الشخصية ، التي تعجز عن ارتكاب جريمة من هذا النوع ، ليست سلبية ، الأن المتصرين في العالم ليسوا عتل أو موسيلليني .

ولكل كاتب مفتاحه الخاص الذى يفتح به أبواب الحقيقة • ويضرب مورافيا مثلا ببلزاك ، الذى يعتبر المال مفتاحه الى الحب والفن والسياسة •

وفى هذا القرن الذى تصاعد فيه الاهتصام بالجنس والعلاقات العاطفية ، عبر أبحاث التحليل النفسى التى مضى عليها كعام نصف قرن ، فان مورافيا يعتبر انتاجه جزءا من الاكتشافات الموضوعية في هاندا المجال من حياتنا ، يتقصى به جوانب الشخصية المختلفة ، في علاقاتها مع الشخصيات الأخرى ، وفي تشابكها مع القيم الاجتماعية . دون أن يتورط في اباحية فجة •

ويذكر مورافيا فى الأحاديث التى أجريت معه فى بلاده ان فرويد وماركس يعتبران آكبر مفسرين للواقع المعاصر، لا غنى للروائى عن استخدام المعرفة التى قدمها كل منهما ، وثن يكون الانسان ابن عصره الا اذا كان فرويديا وماركسيا ، من غير ان يفقد ذاته .

وارتباط مصير الفرد بالمجتمع أو بالطبقة التي ينتمى البها ، في عصرنا الحديث ، معنى أساسى من المعانى التي نجدها في أدب مورافيا ، منذ أعماله الأولى ، كما نجد معانى السام ، والتاتي ، والاحتقار ، واللامبالاة ، والوحدة أو العزلة الانسانية ، والانتلاق ، والانفصام بين روح الانسان وجسده ، أو بين عقله وغريزته ، وقد اكتشف مورافيا إن هذا الانفصام ليس وليد عصرنا ، وانما كان في جميم الأزمان ، وفي كل الأمكنة ،

ولا يزال مورافيا ، رغم أنه تجاوز الثمانين من عمره ، يحتفظ بملكاته الإبداعية ، لم يتوقف عن الكتابة ، وتما أنتهى مؤخرا من كتابة رواية عنوانها ((رحملة الى روما)) ، وقصة قصيرة تحمل عنوان ((فيلا يوم الجمعة)) .

ستنشران خلال هـنم السنة · كما أنه يتابع في نفس الوقت الكتابة للمسرح الذي كان دائما من الفنون التي تجذب ·

وردا على الأسئلة المتصلة بالمراة ، ودورها البارز في أدبه ، قال مورافيا أن المرأة احدى حقائق الحياة • وهي تمثل نصف البشرية • وأضاف أن العلاقية بين الرجل والمرأة هي الشيء الوحيد في الواقع الذي يهتم به الأدب ، وهيذه العلاقة تتراوح بين الحب ، والعلاقة الأسرية •

ويعترف مورافيا بأنه شخصيا مدين للمراة بالكثير ، فهي التي علمته ، ويتمنى أن تكون المراة ، بدورها ، مدينة له بشيء • فقد تكلم عنها كثيرا ، واظهر في كتاباته الكثير من خصائصها • وهو يراها محبة للسلام ، وأحيانا تكون اكثر حيوية ونشاطا وذكاء من الرجل ، كما أنها تمثل طبقة صاعدة •

وتعوض مورافياً لعاداته فى الكتابة ، فذكر انه يكتب فى أى مكان يتوفر فيه الهدوء ، بعد أن أصبحت روماً مليئة بالضوضاء ٠

وأشار مورافيا الى أن جميع رواياته قدمت فى السينما ، وهو كناقد سينمائى يكتب فى احدى المجلات الايطالية ، ويؤكد أنه ليست هناك علاقة بين الأدب

والسينما ، ولا يجب أن تكون • فالأدب شيء والسينما شيء مستقل • وإذا أراد المخرج أن يكون صادقا مع العمل الأصلى ، فقد تعبزه ، والأفضل أن يكون متميزا وأمينا في طرح انطباعات على العمل السينمائي ، ولو ابتعد عن الأصل •

ومن القضايا التي آثيرت في لقاء مورافيا برواد معرض القاهرة الدولي للكتاب ، وهي قضايا عديدة ، قضية تاريخ الرواية ، التي بدأت في الملاحم القديمة كحكايات شفوية وصوتية ، أي بالكلام وليس بالكتابة ، ولازالت هذه الصفة ، صفة الصوت التي تضبطها الأذن ، ملازمة للرواية الى اليوم ، كما يختزن الجنين في بطن أمه كل مراحل التطور التي مر بها الإنسان ، وأنه شخصيا بدا الرواية بروايتها بالكلام ، ثم عندما أخذ يكتب كان يعيد قراءة ما يكتبه بصوت مرتفع ، حتى يسمعه بأذنه ، لأن للأسلوب الأدبي صوته أو جرسه الموسيقي ، وبعد ذلك للأسلوب الأدبي صوته أو جرسه الموسيقي ، وبعد ذلك بدأ يقرأ الرواية بعينيه فقط ، دون صوت ،

وتعتمه الرواية ، عند مورافيا ، على البناء الفنى ، وعلى الشخصيات ، والايقاع • ويمكن لهذا الايقساع أن يكون بسيطا أو مركبا ، يبدأ بطيئا ثم يتحول الى السرعة • والرواية يمكن أن تترجم • ولا يمكن ترجمة القصيدة •

وحول مدى التزام الروائي بالحقائق التاريخية ، ذكر مورافيا ان للروائي الحق كل الحق في التصرف فيها٠ واختتم مورافيا لقاءه بالحديث عن زوجاته الثلاث والأولى السامورانتى التى قضى معها خمسا وعشرين سنة ، وصفها بأنها روائية شهيرة ، على درجة كبيرة من الموهبة ، وهى نتاج للرمزية الروسية و والثانية داتشيا مارايينى، شاعرة وروائية وكاتبة مسرحية ومخرجة أيضا وامضى لها دورها القيادى فى الحركة النسائية فى ايطاليا ، وامضى مورافبا معها ثمانى عشرة سنة و والثالثة كارمن ميرا ، مضى على زواجهما سبع سنين ، وهى روائية موهوبة ، تمتلك أدوات الرواية الحديثة ، كما تتمتع بالقدرة على الكتابة التلقائية ، والاجادة فى وصف المجتمع .

۱۹۸۸ مرة ٤ القاهرة ٤ مارس ۱۹۸۸ م.

مساكس فسريش

نظمت الثقافة الجماهيرية في القاهرة . في الواحد والعشرين من شمهر ديسمبر الماضي ، لقاء مع الكاتب السرحي السمورية ، الناء زيارة الكاتب العالى للماصمة العربية ، بعوة من معهد جوته الألماني ، في عيده الفضي .

وبعد اللقاء ، عرض امسام ماكس فريش مشهد من مسرحية ((مشعلو الحرائق)) ، التي يقدمها مسرح الطليعة له في منتصف الشهر الجاري •

ترجم السرحبة عن الألبانية الدكتور مصطفى ماهر . وأعدها بالعامية ماهر عبد الحميد •

وماكس فريش في الثالثة والسبعين من عمره • ولد في مدينة زيورخ بسويسرا سئة ١٩١١ • بدأ الكتابة للمسرح في سن السادسة عشرة ، تحت تأثير معاناة البشرية لويلات الحرب العالمية الأولى ، والخطر الذي يحلق بها بشكل مستمر ، وأن لم يتمكن من نشر أعماله الا في سن الواحدة والعشرين •

درس الهندسة المعارية بجامعة زيورخ وقام سنة ١٩٤٩ بوضع تخطيط معمارى شامل للمدينة التي ولد وعاش فيها •

لكنه لم يلبث بعد ذلك أن انصرف تماما عن الهندسة. واتجه ، بكل ثقله ، الى الابداع الأدبى •

ولا يقتصر انتاج ماكس فريش على المسرح ، وانسا يشمل الرواية ، وأدب الرحلات ، ويؤلف هذا الانتاج المتنوع ٧٧ كتابا ، نال ماكس فريش على بعضها مجموعة من الجوائز ، آخرها جائزة السلام للمكتبات الألمانية سنة ١٩٧٦ .

ارتبط ماكس فريش فترة من حياته المسرحية بالكاتب برتولدت بريخت ويفصح هذا الارتباط عن الجانب الانساني الملتزم في أدب ماكس فريش و فهو يرى أن للأدب والفن رسالة و وتتمثل رسالته في تحقيق التغيير وفي رأيه أن واقعنا المحاصر لا يعدو أن يكون أحلام المبدعين الذين عاشوا في الماضى ، وأرادوا للحياة أن تسير على نهج مشاير .

ان الأكذوبة التي ينهض عليها الابداع ، هي ، في يقينه ، الحقيقة الوحيدة الجادة في هذا العالم التي تكشف كل زيف •

وفى الكلمة التى ألقاها ماكس فريش ، فى بداية اللقاء ، ذكر أنه ليس كاتبا المانيا ، يتحرك فى نطاق اللفية الألمانية وحدها ، كما أنه ليس كاتبا عالميا بالمعنى المتعارف عليه ، ولكنه كاتب أوروبى • وقد شعر بهذه الصفة بوضوح أثناء اقامته فى أمريكا •

وعن حرق مؤلفاته في مستهل حيات الأدبية ، وبالتحديد في سن الخامسة والبشرين ، وتوقف عن الكتابة سنوات ، ذكر ماكس فريش ان النار ، كوسيلة من وسائل التطهر ، تعد فكرة باهرة ، وهو ، شخصيا ، يخاف منها ، ولكن يحبها • ويرى أن الانسان مدعو دائما الى حرق أوراقه القديمة ، حتى يتحقق له التطهر •

ولا يزال ماكس فريش الى اليوم يذكر الرحسلة اليومية الشاقـة التي كان يقطعهـا الى الغابة المحيطـة بمسكنه ، منذ ما يقرب من نصف قرن ، ليحرق مؤلفاته ،

وبالنسبة الى اتجاهه الفنى الذى يعبر عنه نفى ماكس فريش اى انتساء لكتباب العبث واللامعقول ، وصرح بأنه يشعر باقتراب أشد الى بريخت الذى يكتب المسرح بعقلانية شديدة ، ويخاطب العقل ،

ومما قاله ماكس فريش في لقائه بالمثقفين المصريين :

بدأت علاقتى ببريحت مسكرة جدا ، وكانت تربطنى به صلة شخصية ، كنت ما زلت مبتدئا ، وكان هو أستاذا كبيرا ، أعجبت به من ناحية كتابة قصص رمزية ، وهذا هو المنهج الذى اخترته لنفسى ، وتروق لى فكرة المسرح الملحمى نظريا ، ولكنها لا توافق مزاجى الفنى ،

واذا أردتم ان احدد لكم العامل المشترك بينى وبين بريخت ، فهو كتابة المسرح من أجل المجتمع ، وذلك من خلال معالجة القضايا السياسية · ولا أعتقد أن مهمة المسرح هي النرفيه ·

وتحدث ماكس فريش عن علاقته بخسبة المسرح قائلا انه يحب حضرور بروفات مسرحياته ، لأنه يشعر ان العمل المسرحي ، في هذه البروفات ، يتخلق أمامه ، شيئا فشيئًا ، ويكتسب حياته الكاملة ·

وعلى الرغم من أن ماكس فريش لم يكن مجهولا تماما بالنسبة للثقافة العربية ، الا أن معرفتنا به ، من خلال ما كتب عنه في مجلة « المسرح » المصرية ، كانت تقدمه لنا على أنه كاتب من كتاب العبث واللامعقول

والصحيح أن ماكس فريش ، كما أعلن بنفسه في القاهرة ، لا يمت لهذا الاتجاء العدمي المتشائم ، ولعل صلته الشخصية الحميمة ببريخت ، التي يوميء اليها بتقدير بالغ ، تساعدنا على تجنب الخطأ في تحديد انتمائه ، في السياق الاجتماعي والتاريخي الذي يعاصره،

انه كاتب اشتراكى ، ديمقراطى ، مؤمن بالسلام ، ولا يجد للبشرية خيارا غيره ، يكتب المسرح من اجل المجتمع ، ويعالم في اعماله القضايا السياسية من خلال القصلة الرمزية ، التي تحتمل تفاسير شتى الى حد التناقض ،

الا أن صندا التعدد في المعنى ... الذي يدل على خصوبة الموهبة ونضيج الفكر ... لا يطمس الدلالة الانسانية المحددة ، الداخلية والخارجية ، التي يعبر عنها كل عمل من أعماله التي تبلغ ٣٧ كتابا ، ما بين المسرحية ، وأدب الرحلات ٠

ولو أننا طبقنا هــذا التوجه الغنى على مسرحيــة (مشعلو الحرائق)) التي يشاهدها الجمهور في العاصمة ،

فانها تقول ، بأجلى ، ان المجتمع المؤسس على كذبة لابد من احراقه ، وسوف يحرق ان آجلا أو عاجلا ، وأيا كان النظام القائم فيه ، سواء اكان اشتراكيا أم رأسماليا •

وفى رأى ماكس فريش أن الكوارث تنزل بالبشرية الأن الناس تقف ازاءها ، عادة ، مكتوفة الأيدى ، لا تهب للدفاع عن نفسها وعن معتقداتها ، الا بعد أن تكون الجريمة قد وقعت بالفعل ، ونفذ السهم من القوس ، ولم يعد من المكن تدارك الأمر بأية حال من الأحوال •

والزمن الواقعى الذى يقدمه ماكس فريش ، على لسان الكورس ، هو عربة المطافىء ، التى تصل متأخرة دائما الى مكان الحريق ، بعد أن تكون النار قد أتت على كل شيء •

[«] الأثوار » ، بيروت ، ٦ يتاير ١٩٨٤ .

آرثىسر ميسللر

زار القاهرة ، خلال النصف الأول من شهر فبراير العالى ، الكاتب الأمريكي آرثر ميللر (۱۷ آكتوبر ۱۹۱۰) بعوة خاصة من الأمير صدر الدين خان ، مدير ادارة اغاثة اللاجئين في الأمم المتحدة ، وكانت في صحبة ميللر ثوجته النمساوية المسورة انجى يورغ ، والكاتب وليم سترين •

وعقب وصبول ميللر الى القاهرة ، عقد في فئدق المديديان لقاء مع الكتاب والصحفيين المصريين ، ثم عقد لقاء آخر معهم بعد أن طاف ببلادنا في رحلة نيلية ، وشاهد المناطق الأثرية في الأقصر واسوان ، وأجرى معه التليفزيون المصرى حديثا موجزًا عن حياته ومسرحه ، التليفزيون مسرحية ((كلهم ابنائي)) ، التي تعد ، مع

۱۳۱ (م ۱۱ --- الكتابــة) ((وفاة بائع متجول)) و ((مشهد من الجسر)) ، من درر أعماله السرحية •

ومن جملة هذه الأحاديث التى أدلى بها ميللر فى القاهرة ، يتأكد اتجامه الى المجتمع ، ووعيه بما يعتمل فيه من قوى متناقضة .

ولعل تأثره بالكاتب المسرحى ابسن من جهة ، وبرواية ((الأخوة كرامازوف)) لدوستويفسكى ، من جهة أخرى ، ما يشف عن جانب اساسى فى مكوناته الثقافية ، التى افضت الى هذا الاتجاه ، وأعنى به الجمع ، فى انتاجه ، بين الوضع الاجتماعى للشخصيات ، والحالة النفسية لهم •

یری میللر ان المسرح ، بطبیعته ، فن اجتماعی ، لانه یعبر عن ناس یعیشبون فی مجتمع •

وفى رأيه أن المجتمع ، طالما يعمانى من الأوضماع الطالمية ، ومن عدم العدالة ، فانه يتعين على الدراما أن تتحدد وظيفتها داخل الاطار الاجتماعى •

وبهذا الموقف لا يضرب ميللر في آفاق التجريد ، أو العبدثة . أو اللامعقول ٠٠ تلك التيارات المحدثة . التي عصفت بكل المفاهيم الكلاسيكية في الفن ، التي تنهض على التناسق والوضوح ٠

وامام الاتهام الذي ذكر من أن مسرح ميللو لا يعدو نطاق المائلة ، قال :

لو كانت كل أعمالى دراما عائلية ، كما هو مفهوم من السؤال ، لما وصلت الى مصر ، أن مسرحى أشمل من هذا ، كما أن لى رواية مأساوية لا تتعلق بدراما العائلة ، ومع هسلذا فانى اعتبر ((أوديب ملكا » لسوفوكليس دراما عائلية ،

ویقصه میللر ، بذلك ، ان ((أودیب ملكا)) ، والمسرح الاغریقی برمته ، انسا یخوض مشكلة الفود والمجتمع • وهذا المسرح هو الذی یشكل التیار الرئیسی د لا الروافه الفرعیة د فی المسرح منذ فجر التاریخ •

ولأن الشكل أو التكنيك ، في أي عمل فني ، يمثل القالب الذي لا يتبض بدونه أي محتوى أو مضمون ، سبل آرثر ميللر في القاهرة عن سر اهتمامه بتغيير التكنيك في أعماله ، فأجاب بأن هاذا يرجع الى انه يضع الإنسان في مكانه من العالم المتغير .

ولا يجه ميللر تعارضا بين البعه الاجتماعي والبعه النفسي في التناول • فمع أن كل مسرحية من مسرحياته _ مكذا يرى _ مؤسسة على حيرة شخصية ، الا أنها تتعلق دائما بمجموعات كبيرة من البشر ، في عالمنا المساصر ، ولا تعبر فقط عن مشاعر شخصية •

وعن علاقة آرثر ميللر ، ككاتب مسرحى ، بالمخرج ايليا كازان ، ذكر أنه تجمعه به علاقة حميمة ، ووحدة فى الرؤيــة •

واعتقد أن هذه الوحدة فى الرؤية هى التى تتيح للمخرج أن يعبر تعبيرا دقيقا عن النص ، ويستخرج كل الدلالات التي ينطوى عليهسا ، فلا يمضى الاخسراج فى اتجاه ، على حين أن النص يتحرك فى اتجاه آخر ،

كذلك سئل ميللر عما 131 كان قد توقف حقا عن الكتابة في السنوات العشر الماضية ، التي لميطبع له فيها شيء ، فأوضح انه لم يتوقف أبدا عن الكتابة ، بل انه كتب كثيرا في همذه السنين ، ولكنه توقف فقط عن النشر ، وهو الآن بسبيل نشر ما لديه من كتابات ،

وهذا درس ثمين للكتاب العرب ، الذين يسرعون بنشر كل كلمة تكتب ، بمجرد وضع القلم ، وقبل أن يجف المداد ، دون اعمال النظر فيما يمكن أن تضيف هذا الكلمات الى الثقافة المعاصرة •

وبخصوص عدم اتجاه ميللر الى الأساطير في مسرحه، أجاب أنه ليس في تاريخ أمريكا أساطير بحيث يمكن استلهامها • ذلك أنها _ كما هو معروف _ دولة حديثة ، وأكد أنه يتجه بمسرحه الى المجتمع المعاصر ، من خالال الانسان والبيئة •

وغنى عن البيان أن هـــذا المجتمع جزء من الانسانية . كلهــا ٠

وعن تجربته المسرحية الخاصة ذكر ميللر أن مسرحه ينتمى الى الاتجاه التعبيرى ، وأن العلاقات الأسرية لا تمثل فى الحقيقة الا جزءا يسيرا ، أو بعدا واحدا ، من مسرحه الاجتماعى • بل أنه يشعر أنه استنفه هنذا الجزء ، وأصبح اهتمامه منصبا على القضايا الاجتماعية التي تخاطب الانسان بعامة ، على غرار كتاب القرن التاسع عشر •

الا أن هــذه القضايا العامة ــ كما أكد ميللر ــ تؤثر بدورها في العلاقات الأسرية ، لأنها تمس الأسرة ، للتداخل بينهما ، فضلا عن أن الأسرة ، كأفراد وعلاقات، تجسد المجتمع في صـورته المعفرة .

وتنبع هذه الأفكار من اعتقاد ميللر الواضيح ان الإنسانية تنتمى الى أبوة واحدة ، وتعيش على مسرح تاريخى واحد ، شاسع جدا ، ساحته هى ساحة العالم كله ، وتمثل فيه ، بلا جمهور مشاهد ، فرقة واحدة ، هى الجنس البشرى ، ولو أن الصمت يتهددها من كل جانب ،

وبحكم هذا الطابع المميز للفعل والفكر البشريين ، يرتبط المجتمع الانساني برباط واحد وثيق ، يعبر عنه المسرح كفن عالمي • ومن الأسئلة التقليدية التي طرحت على ميللر سؤال عن طريقته في الكتابة ، وهل هي حرفة أم هواية ، وهل تتقيد بفترة معينة ، وتخضي للوازم أو « طقوس » خاصة ؟

آجاب ميللر بأن الكتابة بالنسبة اليه هواية وليست حرفة ، وأنه يكتب في الفترة الصباحية حتى الظهر ، أي من الساعة الثامنة الى الساعة الواحدة ، الا أن الكتابة تتوقف لديه على وجود الفكرة ، وأنه يخضيع في التأليف للشخصيات التي يخلقها •

ولعل اهم ما قاله ميللر اشارته الخاطفة الى حرصه على أن يشعر أبطاله بالذنب نتيجة ما اقترفوا من أخطاء ولكنه لم يستطع أن يضمع تفسيرا لذلك واعتقد أن هذا التفسير لا يخرج عن حسمه الاخلاقي ازاء المسئولية الفردية ، ووعى الشخصيات بالظروف الموضوعية المتحركة التي تعيش فيها •

كذلك سئل ميللر عن السبب في أنه يعتبر هـنه السرحية أو تلك أفضـل أعماله ، فأجاب أيضا بأنه لا يعرف هذا السبب بالضبط •

ولأن ميللسر يجمسع في الكتابسة بين المسرح ، والرواية ، والقصة ، والقسال ، فضلا عن انه بدأ حياته بكتابة التمثيليات الاذاعية ، فقد سسئل عن مدى استجابته الى هذه الأشكال المتنوعة ، فأجاب :

ـ اننى أشعر براحة آكثر فى الكتابة للمسرح • لكنى فى الوقت نفسه أحب كتابة القصة القصيرة ، ولى مجموعة قصص عنوانها ((لم أعد احتاج اليك)) •

وفى كل اللقاءات التى تمت مع آرثر ميللر ، كان يواجه دائما بالسوال الخاص بزوجته السابقة ، مارلين مونرو ، التى ماتت منتحرة ، بعد تسع سنين من زواجهما، ومل هى حقا بطلة مسرحيته ((بعد السقوط)) ، فنفى مبدأ التطابق التام بين الشخصية الفنية والشخصية الحقيقية ، وان كانت كل أعماله الفنية مبنية على خبرات شخصية .

اما مسرحبة ((كلهم أبنائي)) ، التي عرضها التليفزيون المصرى ، فقد كتبها ميللر سنة ١٩٤٧ ، أى منذ ٣٤ سنة ، وقد نالت جائزة نقاد المسرح وغيرها ويتناول فيها الكاتب القيم الاجتماعية والخلقية بين جيل الآباء ، وجيل الأبناء ، ومسئولية الانسان امام الآخرين في حلبة المجتمع ، من أجل الحصول على مكان له ،

انها تدين تجار السلاح ، الذين يقدمون للجيش قطعا مشروخة ، أخفيت شروخها بالطلاء ، غير مطابقة للمواصفات ، من أجل الاثراء الفاحش ، ولو أدى ذلك الى موت جنود الوطن ، الذين يدافعون عنهم .

وحتى تبلغ الجريمة أقصى درجاتها ، يقتل ابن

من هنا يجىء يقين الزوجة ، الأم ، وتمسكها بأن ابنها لم يقتل في الحرب ، بل سيعود الى خطيبته ، التى يريد شقيقه أن يتزوجها ، لأن ما عدا هذا يعنى شيئا واحدا ، هو أن زوجها ، الأب ، قاتل ابنه ، وهى حقيقة بشعة فوق احتمال الانسان ، أدت بالتاجر ، في النهاية . الى أن يطلق النار على نفسه .

وبهده الرؤية الملتزمة يعد آثر ميللر شاهدا على المحياة الأمريكية ، وتعد مسرحيته ادانة للمبادىء التى تسدوها .

وآرثر ميللر وجه لامع من وجوء المسرح الأمريكي المعاصر •

ولعل أهم الأعسال التي قدمها المسرح المصرى له مسرحية « مشهد من الجسر » سنة ١٩٦٣ من اخراج كمال عيد، وتمثيل توفيق الدقن، وأمينة رزق، ومحمد السبع،

فلنتأمل هذا المسرح ونتعرف على مكوناته ٠

ينتمى مسرح ميللر ، الى المسرح الاجتماعى ، دون ان يعنى هذا الانتماء الابتعاد عن الأعماق النفسية ، أو عدم الاهتمام بالكشف عن حقائقها الخاصة ، وتحركات الروح، حين يتناقض القانون الذاتي لهذه الشخصيات مع القوانين والأخلاق الوضعية القائمة ·

ذلك أنه من خلا هذا التناقض ، تنشأ فوق الأرض الماماة ، وتسفر عن وجهها القبيح ٠٠ ماساة البحث عن مكان في المجتمع ، ولو على اشلاء الآخرين ٠

ولهذا تنتهى مسرحيات ميللر عادة بالسقوط العنيف المدوى ، نتيجة اعتداد الفرد بذاته وحدها ، أو لقائه بقدره المرصود في روحه ، وتنصله من القيم الاجتماعية الصحيحة لمن تحولت حياته ـ على حد تعبير ميللر ـ الى مجموعة من الأهداف والعلاقات العابرة الجافة ،

نجد هذه النهاية أوضح ما تكون فى انتحار التاجر الراسمالي فى « كلهم أبنائي » ـ بعد أن سلم الجيش اسطوانات مشروخة غير صالحه للطيران ، أدت الى أن يلقى أكثر من عشرين جنديا حتفهم ، من بينهم أبنه نفسه •

کما نجد هذه النهایة واضحة فی مصرع آیدی ، فی مسرحیة « مشهد من الجسر » ... بید قریب زوجته عندما شعر انه سیخطف منه بالزواج کاترین ، بنت آخت زوجته ، التی رباها منذ کانت طفلة ، وحمل لها بعد ذلك حبا آثما ، كالحب الذي يتصل بالمحارم .

من هذا يتضم ان العلاقة بين الفرد والمجتمع المحيط تمنل جوهر مسرح ميللر منذ بدأ الكتابة فيأول الأربعينات، على غرار ما نجد مسرح ابسن الذي يعد من أكبر المؤثرات التي تلقاها ميللر بعد شيكسبير ·

الا أن ميللر يرى أن الفردوس الذي يعيش فيه المرء في عالم البراءة ينتهى على التو فى لحظة الاختيار بين الخير والشر ، وانه بمجرد تحقق الرؤية ينطلق الانسان في فلك البحث عن مزيد منها ، الى أن يتخلى تماما عن الفضيلة ، ويسقط فى الهاوية .

والكتابة بالنسبة لميللر اشبه بسياحة في بحار مجهولة يبحث في غضونها عن معنى الأشياء ، واكتشاف مغزاها الكامن في ذهن المشاهدين ، دون أن يعرف متى تنتهى هذه السياحة ويضع القلم • حسبه أن يبدأ الكتابة بدافع من الاحساس بالشغف بموضوع ما ، بشخصية ما ، بحدث ما ، أو حتى بمجرد شعور يخامره •

وتحت تأثير هذا الاحساس المبهم الذي يثير الحركة الدافقة في الذهن يملاً ميللر اكثر من ألف صفحة كاملة من الحوار بين شخصيات المسرحية ، ولكن من الطبيعي ان حوارا يشغل هذا الحيز الضخم يفيض بزيادات لا تحصي، لأن الحوار المسرحي الجيد الصنع ٠٠ حوار شديد الايجاز بالغ الدقة ٠ لا يتضمن كلمة واحدة يمكن الاستغناء عنها أو تغييرها ٠

وبعد أن يكون ميلل قد استوعب ملامح شخصياته جيدًا ، ودرس قضيتهم . يلقى بالصفحات الألف هذه ، ثم

يشرع فى كتابة المسرحية فى شكلها المحكم الواضح ، فىحدود مائة وعشرين صفحة لا أكثر ، ينتفى فيهـــا كل تفصيل ، ويتركز على المشاهد الرئيسية فقط ·

وفي النهاية يجد ميللر نفسه في قمة الارهاق الذهنى والبدنى ، فيقسم الا يعود الى كتابة المسرحية مرة ثانية ، ثم لا يلبث ان يبدأ من جديد التفكير في مسرحيبة جديدة على المنوال السابق ، بشوق الانسان المقبل على مغامرة جديدة ، تفيض في انطلاقها الحر بالروعة ، وتعد بالمتعنة مهما تجشم في سبيلها من جهد .

وعلى الرغم من أن ميللر مقل جدا في كتابة الارشادات المسرحية ، الا أنه يكثر في نفس الوقت من ملازمة المخرجين أثناء التعويبات السابقة على العرض المسرحى • وهلا يذكرنا بماكس فريش الذي يشعر بسعادة غامرة في حضور هذه التعريبات ورؤية المسرحية المخطوطة وهي تتخلق أمامه ، وتكتسب حياتها الكاملة • كما أن ميللر دائم الحضسور للعرض نفسه ، لا يتوقف عن ابداء ملاحظاته العديدة حول التمثيل ، والاخراج ، والديكور •

ويملك ميللر الشجاعة الكافية لأن يعترف أن اداء المثل الذي قد لا يحيط احاطة تامة بمضمون المسرحية ، أو أن رسدوم واضاءة الديكوريست ، تجيء أحيانا افضل كثيرا من كل تصوراته . ولعل هذا الاهتمام بمتابعة العمل المسرحى فى كل خطواته يرجع الى نظام التعامل مع المؤلفين المسرحيين فى امريكا الذين يتقاضون نسبا متزايدة من الايراد قد تصل الى ١٥ بالمائة ١٠٠ مما يجعل ميللر حريصا على نجاح النص جماهيريا ٠

ولأن العمل الفنى المجسد على منصة المسرح يختلف بالضرورة عن النص الأدبى المكتوب ، يحرص ميللر على ارجاء نشر مسرحياته فى كتب الى أن تعرض على الجمهور اولا ، ويتاح لنقاد المسرح تقييمها حية على المنصة ، وليس كلمات جاملة فى كتاب •

وتتضمن مكتبة ميللر الخاصة دائرة معارف كثيرا ما يعود اليها ، نتيجة ارتباط مسرحه بقضايا المجتمع ، أى بالواقع ، واعتماده على الحقائق المعاصرة ، وزيادة وعيه بالتيارات التى تشكل حركة التاريخ من الأزمنة القديمة حتى الوقت الراهن •

كما يوجد فى حدّه المكتبة الكتاب المقدس الذى يعظى عهده القديم باهتمام ميللر أكثر من العهد الجديد • ولهذا دلالته بالطبع فى الافصاح عن معتقدات ميللر •

وفى سسنة ١٩٧٢ استلهم ميللر من الكتساب المقدس كوميديا فاجعة تحمل عنوان « خلق العالم مسالة أخرى » يندد فيهــا بعبادة الفرد ، ويقف الى جــانب الشـــعوب والضعفاء ضد مظالم الحكام ·

ويشعر ميللر كمعظم الكتاب بالفارق الكبير بين ما يتجزه بالفعل وما كان يتطلع اليه • ولا شك أن مثل هذا الشعور يعتبر من أكبر المحرضات لتحقيق قدر أكبر من الابداع الفكرى والفنى في أعماله التالية •

[«] الانوار » ، بیروت ، ۱۳ قبرایر ۱۹۸۱ . « الساء » ، القاهرة ، ۱۱ قبرایر ۱۹۸۱ .

كايسزين كسولييف

فلنتعرف على ادبائها وشسعرائها ومفكريها الذين يمثلون هذه الواجهة الوضيئة ، في مراحل النضال ولحظات الانتصار ، ويعبرون عن ارفع القيم ، من خلال هسذا المقال الترجم الذي كتب بقلم : فلاديمير ارنيف •

تحكى احدى الأغنيات الشعبية المستوحاة من كلمات الأغنية البطولية الشهيرة ايتييف ، التى سجلها كايزين كولييف في تشجم جورج بشمال القوقاز ، عن رجل من القبائل الجبلية ، يطلب الى ابنه ، ان عاش الى الوقت الذى يكف فيه الإنسان عن ظلم أخيه الإنسان ، ان ياثى

الى قبر والله ، ويهتف بأعلى صدوته بهذه الأنباء . وعندئذ لن تبدو أحجار القبر الرمادية بما هي عليه من . ثقال .

وقد تناقل الأطفال والأحفاد واحفاد الأحفاد هذه الأغنية من حيل الى جيل وتقول الأسسطورة ان هذه الأغنية من نظم الشساعر الكبير كايزيم ميتشييف، وان الشعب قد عمل على ديوعها، وكايزين كولييف، الذي يعد الآن أشهر شاعر بلغارى، يعتبر نفسه تلميذا لميتشييف،

ذلك أن جنور أشعار كولييف تغوص بعق في أرض فولكلور بلغاريا الغنائي ، متأثرة بالق روح الشعب ، ورائحة الأرض الوطنية ، وقوة الحياة ، والثقة في انتصار العدالة ، ويصف كولييف الشعراء المجهولين ، من الرعاة والفلاحين الذين تركوا وراءهم قصائد رائحة ، بأنهم « بالرغم من أن ثيابهم معزقة ، تتألق النجوم في أرواحهم » ، ويعد الصدق في شكل قصائد كولييف ، وما تمتاز به من البساطة ، من سبط هذا الخيال ، ولكن أية حكمة واي عمق وراء هذه الواجهة الصادقة ! ،

ولد كايزين كولييف سنة ١٩١٨ ، في كوخ رجل فقير من سكان الجبال ١ الا أن احساسات الطفولة عنده وافكارها كانت مقرونة مع عالم من المناظر الريفية المثيرة ٠ وفي وقت باكر من حياته تفتح له تراث الشعر الروسي ٠

ولم تلطف حرب ۱۹۶۱ ــ ۱۹۶۵ روح شاعر بلغاريا

وحسب ، بل وثقت صلته مع ملايين الناس الرتدين المعطف الرمادى الحربى ، جنبا الى جنب مع الذين دافعوا عن الحياة ضد الوت • ولقد كانت الواقعية ، والحقيقة ، والرحمة الصلبة ، هى قيمه الشعرية • وكبع النفسالقوى خصيصة الغنائية الجبلية وشخصيتها •

اذا أتى الرح ، اقبسله •

لا تكن متكبرا ، ولكن مستحقا له •

اذا أتى الحزن ، ضم شفتيك ،

لا تضعف خوفا ، كن مستحقا له •

وكثير من قصائه كوليف مكرسة لمشاكل الحياة والموت ، والزمن الذي يقوم العالم ويجدده • غير انها ليست في عزلة ثقافيا ، بل شديدة التوقد ، ومتواضعة عن قصد ، ودائما ما ترتبط الحقيقة بتجسارب المؤلف المنحسية •

 وبهذا الاحساس تنتمى أشعار كولييف الى « الغناء الملحمى » حيث تقود التجربة الشخصية الى معرفة التجربة التاريخية •

ولست أعرف ان كان ثمة أشعار عن الحرب أقوى من أشعار كولييف التي يقول فيها :

في مكان ما بعيدا جدا تتوجع أم وهى تغنى تطفلها • مخاوف أبدية ، قالق العالم ينوب في اغنيتها • في أي حرب ، الرصاصة الأولى تغترق قالب الأم • وايا كان المنتصر في نهاياة المعركة ، يسليل اللم من قالب الأمم •

لقد ألف أسنلاف كولييف أسطورة عن رجل من التلال ، عاش في فلما للسلام والعدالة اما معاصرنا كولييف فيتذكر هذه الأسطورة ، وبكل حماسته الشعرية يحارب من أجل تحقيق الحلم ، وبهذا يجب على الانسانية برمتها أن تنادى ، على شهواهد القبور الشهباء لضحايا التاريخ ، بالأنباء التى تطمح اليها ، وبهذا أيضا يظل البؤس والشرداخل نطاق الأساطير فقط ،

۱۷۷ _ الکتابـة)

كئست صبيسسا

كنت صبيا على المحراث ، جنديا وشاعرا ،
رأيت مسكابدات كثنيرة ، ودموعسا غزيرة ،
يبدو كانها عشبت ، رغم أنى ما ذلت ثم أفصيح عنها ،
هنا في هذا العالم ، عشر منات من السنين الطويلة ،
مثل هذا العمل منتظر ، مثل هذه الأراضى البعيدة
تنعو ،

وكثير من الأشسعار يجب أن أكتبها ، يبدو كانى كنت أزحف منذ يسوم أو يومين وحسب . العب مع أمى ، أو أجثم على ركبتها •

[«] التورة » ، دمشق ، 10 اكتوبر ١٩٦٧ ،

دوريثمـــات

استضافت مصر فى نهاية شهر نوفمبر الماضى الكاتب السويسرى فريدريش دورينمات • ودورينمات (١٩٣١) ليس غريبا على الحركة الثقافية فى مصر ، فقد ترجمت بعض مسرحياته الى اللغة العربية ، وعرضت على خشبة السرح المصرى •

لهذا كان لقاء دورينمات بالمثقفين والكتاب في القاهرة لقاء مع كاتب معروف في حياتنا السرحية •

كان اللقاء الأول مع دورينمات فى كلية الآداب جامعة القاهرة ، وحضره مئات من الطلاب والطالبات والأساتلة ، وقسدم فيه دورينمات ، بصوته ، قراءات من أعماله ، اختارها من مسرحية « رومولوس العظيم » ، ومسرحية

(هبط الملاك في بابل)) • وتم اللقاء الثاني في مبنى جريدة
 (الأهرام)) ، مع عدد من كتساب وفناني وفنانات المسرح •

وعقد اللقاء الثالث _ الذي نعرض وقائعه _ بفندن شيراتون الجزيرة ، في شكل ندوة أدبية موسيعة ، أدارها المدكتور ممدوح البلتاجي رئيس هيئة الاستعلامات المصرية التي قامت بدعوة دورينسات • وتحدث فيها عن أدب دورينسات وشخصيته الدكتور لويس عوض والدكتور يوسف ادريس • ثم رد دورينسات على الأمسئلة التي وجهت اليه باختصسار وحذر ، حتى يظل الباب مفتوسا لتفسير أدبه •

بدا الدكتـور لويس عـوض حديثـه بالترحيب بدورينمات واضاف أن مجيئة بيننا يمثل امتددا لتلك الاحتفالات الثقافية التي ألفتها القـاهرة ، أو تتويجا لسلسلة من الزيـارات و فقد عرفت القـاهرة جان بول سارتر وسيمون دو بوفوار و كما عرفت ميشيل بوتور ، وناتالي ساروت ، وآرثر ميللر ، وغيرهم كثيرون و ومن الفكرين عرفت جارودي ، وجاك بيرك وغيرهم (۱) و

 ⁽۱) كذلك يمكن أن تذكر من الذين زاروا محر في السبعينات والثمانينات : يفترشنكو ، حمزاتوف ، اندرفتش ، مالرو ، مورافيا، مائس فريش ، وزارها في السستينات الناقف الانجليزي أيفور ريتشاردز .

وربما كان مظهر سعادة لنا جميعا ان القاهرة عرفت فن دورينمات منذ الستينات ، سدواء في مسرح الجيب او على خشبة المسرح القومي ، وكان عرض مسرحياته بمثابة هزة ثقافية لجمهور القاهرة المسرحي ، لا سيما ان الاهتمام بدورينمات اقترن بتلك الحركة التي ازدهر فيها تمثيل الأدب الوجودي ، ثم ادب اللامعقول .

وعن موقف دورينمات من هــذين التيارين ، يقول لريس عوض :

_ من متابعى الأعمال دورينمات وجدت نفسى اقف حائرا أمام جملة ظواهر فى أدب ، فكنت دائما اسائل نفسى ، هل دورينمات ينتمى حقا الى مدرسة اللامعقول ؟ فعندما بدأنا نتصل بأدب اللامعقول ، عرفناه أولا عن طريق بيكبت ويونسكو • ودراستى الأعمال دورينمات جعلتنى اقف محتارا أمام هذه الظاهرة الجديدة ، الأنى الاحظت خلو أدبه من ذلك اللاتفاهم الذى نجده فى أعمال بيكبت ويونسكو ، حيث نجد الشخصيات كل منها يتكلم فى واد خاص به ، وكأنما ليس هناك مواضعات ٠٠ هذا هو الذى حدد اتجاه اللامعقول ٠

أما ما نجه في مسرح دورينسات فشيء آخير ، فاللامعقول ليس مبنيا على اللاتفاهم ، وانما على لامنطقية الحياة ، وما فيها من فوضى وتناقض ١٠ اللامعقول عنده شيء بنيوى ، خطئ في معمار التاريخ ، أو معمار الكون ،

او الطبيعة • وادبه _ كما قال دورينمات نفسه _ محاولة لخلق الشكل والاطار والقالب ، وصنع التناقض الفكرى . بهدف ان يصبح العالم أكثر معقولية ، وأقل تناقضا •

وتأكيمه دورينمات على الهمه يعنى أنه ليس متشائما مثل كتباب اللامعقول والعبث ، خاصمة وأنه يعتبر الكتابة فعلا أيجابيا متمردا .

وهنا طلب لويس عوض من دورينمات أن يحدد للحاضرين طريقه الفنى ، حتى يمكن الاقتراب من أدبمه بطريقة أوضح •

أجاب دورينمات باللغة الألمانية ، لأن الفرنسية ليست سهلة بالنسبة له :

_ يتركز اللامعقول في مسرحي في البناء • وأنا لا أحب مصطلح مسرح اللامعقول ، لأن كلمة اللامعقول تعني ما يتنافى مع العقل ، وأفضال أن أقول أن الوصف الصحبح لمسرحي هو أنه مسرح تناقض •

والتناقض في رأيي موجود في الانسان نفسه ، ويتمثل في أن الانسان يموت وهو يرتب أمور حياته ، لكي يزحزح فكرة الموت من أمامه ، ولا يمكن لكاتب الملهاة أن يصور الانسان تصويرا صحيحا إلا وهو قريب من الموت ،

ان الكوميديا تقوم على الشنجاعة • وانا أحاول أن أصور الانسان وهو يتمنى أن يكون شبيئا آخر غير شخصيته التي يعيشها •

واشارة دورينمات الى التغيير تفسر لنا اهتمامه بالصراع الداخلى للشخصيات ، بحثا عن مفهوم ومنطق جديد للحياة والمجتمع ، تخرج الشخصية من خلاله من حالتها ، بفضل ما تكتسبه من وعى وادراك .

بعله ذلك تحلت يوسلف ادريس عن شخصية دورينمات ، قائلا :

... اعتقد أن سر حماسى لدورينمات ، وطلبى بالحاح أن أقابله في سويسرا ، ودعوته إلى مصر ، لا تنبع من فراغ وأنا كاتب أحب المسرح و وأعتقد أن قليلين جدا من الكتاب، سواء عبر التاريخ أو في العالم المعاصر ، قد اسستطاعوا أن يصلوا إلى قلب معنى الدراما و ودورينمات خالق شيء جديد في المسرح العالمي والألماني اليوم و

فقد استطاع ان يخترع الأسطورة الحديثة ، لأنه ي كما يقول نقاده ـ استمع الى والدته وهى تحكى له الأساطير المسيحية و واستمع الى والده وقد كان قسيسا يهوى الأدب الاغريقى بما فيه من اساطير ، وهـنا يعنى ان طفولته كانت أسطورية بفرعيها : المسيحى والاغريقى •

ويبدو ان احد الوالدين ايضا ، وأغلب الظن انها الأم ، كانت كوميدية النزعة ، بينما كان الوالد تراجيدى النزعة ، فتدخلت في تكوين دورينمات : الأساطير الدينية ، والكوميديا والتراجيديا ، ومن هذا المزيج يتخلق انسان دورينمات ، الجزء الكوميدى المسيحى

يتضع فى الملهاة التي يكتبها ، والعِزء التراجيدي الملحمي يتضع في رسوماته •

وحول هذا الجانب الفنى من شخصية دورينمات استأنف يوسف ادريس حديثه:

- وانا حزین الأنه لم یتج لعدد کبیر منکم أن یری دورینمات الرسام • ولقد آتیج لی آثناء زیارتی لدورینمات فی منزله آن احظی منه بهدیة قیصة جدا ، هی کتاب فیه کل ما رسمه ، وهو کتاب مرقم ، مطبوع منه فی العالم کله ۱۰۰۰ نسخة أو اکثر قلیلا ، وقد کان رقم الکتاب الذی أهدام لی (۵۳) •

لأنى لا أعرف الألمانية المكتوبة على الرسوم ، كنت التجىء الى الأصلحة الذين يعرفون الألمانية ، وهم قليلون ، كما يلتجىء الشحاذ ، ليسألهم عن معنى كلمة . حتى أفهم عالم هذا الرجل المعقد الغريب ، وبالذات وضعه رأس الثور على الجسم البشرى ، بشكل حاد السخرية من الإنسان والطبيعة .

وعقب عودتی من سویسرا نشرت نقاشا طویلا حدث بینی وبینه و راحب آن أحیی هذا النقاش و فلابد لكل كاتب مسرحی آن یكون له مركز فكری وفلسفی معین لیصدر عنه و وقد مسالته فی سسویسرا ما هو ایمانسه ؟ ما هی فلسفته ؟ ما هی فكرته عن الحیاة ؟ فأكد لی آنه یؤمن آن المسائل فی الكون مجرد صدفة لا معنی لها و ولیس

هناك نظام كونى دقيق يحدد كيف يسير الكون . وكيف ينظم ، وانما المسألة تخضع للعبث ·

الا أنى قلت له أن الصدف أذا أصبحت بالمليارات ، فانها تؤدى حتما ألى قانون الحتمية ، أى يصبح هناك حتى للكون ، وقوانين تسعيه ، لأن هناه الأعداد الهائلة من الصدف التى تحكم الكون ، لابد أن يحكمها هى نفسها قانون يضبط العالم ،

وردا على هذه التساؤلات التي طرحها يوسف ادريس. أجاب دورينمات :

_ هذه الأسئلة التي توجه لي صعبة جدا الني اعتقد أولا أن المصادفة موجودة في العالم ولكننا حين نتكلم عن المصادفة يحدث أحيانا سوء فهم ، فنخلط بين ما يسميه علماء الطبيعة المصادفة ، وما نسميه نحن المصيادفة .

هناك عمليات معينة في داخل الذرة ، لا نستطيع أن نستخدم في تفسيرها قانون السببية ، نجد فيها أن الزمي يعود الى الوراء ، وهي مسائل صعبة ومعقدة •

اما ما نسمیه نحن مصادفة فینطبق علی حبوادث السیارات ، ونحن نبنی لأنفسنا عالما مكونا من حوادث مثل حسوادث السیارات • كذلك كلما كبرت احجام الطائرات ، زادت امكانیة حدوث حوادث الطیران •

نحن نؤمن بأن الآلات لا تخطىء على الاطلاق · ومع ذلك من المكن أن تكون مليئة بالأخطاء التي لم تدرك عند صنعها ·

اننا نعيش في عالم كل نهج فيه غير مؤكد • وانتاج الكثير من الأسلحة لعب بالنار • نعيش في عالم كأنه مصنع للبارود ، لا يمنع فيه التهضين • من المكن أن نسمى هذا العالم لا معقول ، ولكن الإنسان هو الذي خلق هذه اللامعقولية •

وأخيرا فتح باب الحوار لجمهور الحاضرين ، الذين وجهوا الى دورينمات مجموعة من الأسئلة عن المؤثرات التى تلقاها ، وهى مؤثرات عديدة ، وعن انطباعـه عن مصر المعاصرة التى كانت معرفتـه بها أقل من معرفتـه بمصر القديمة ، وآخر مسرحية يكتبها ، وعلاقته كمؤلف بالمثلين الذين يراهم مثل الألوان على لوحة الرسام ،

ان زياة كاتب عالى مشل دورينمات ، يتفهم بموضوعية القضايا العربية ، لبلد عربى مثل القاهرة . يعنى ان العالم العربى يعيش لحظة حضارية مهمة ، تحقق تواصل الابداع العربى بالابداع العالى ، وهذه على الدلالة التي تعبر عنها بجلاء زيارة دورينمات لمصر ، التي اتخذت شكل تظاهرة ثقافية ، احتفت بها وسائل الاعلام في العاصمة العربية •

 ^{1940 ** 11 () 14 () 19 () 1940 **}

تشسينوا أتشسيبي

ليس للكاتب النيجيرى تشيئوا أتشيبى ، الذى فاز هنه السنة بجائزة ((لوتس)) الدولية للأدب الأفريقى الآسيوى ، غير أربع روايات ومجموعتين من القصص القصيرة ، ولكنها كانت كافية لكى يتبوأ أتشيبي مكانة عالية في الأدب العالى المعاصر • تعقد عنه الدراسات ، وتؤلف الكتب ، وتورد اسمه الأقادم التي تتناول أدباء القارة السوداء المرموقين •

هذه الروايات هى : ﴿ الأشياء تتداعى » ١٩٥٨ . ﴿ لَمْ يَعِدَ هِنَاكِرَاتِّحَةً » ١٩٦٠ ، ﴿ سَهُمَ الرَّبِ » ١٩٦٤ . ﴿ رَجِلَ مِنَ الشَّعِبِ » ١٩٦٦ ٠

أما القصص القصــية فهى : « بيضة القربان » . و « البنات في الحرب » • وقد صدرتا سنة ١٩٧٧ • ولأتشيبي ، أيضا ، مجموعة شعرية واحدة ، صدرت طبعتها الأولى سنة ١٩٧١ ، ثم أعيد طبعها في السنة التالية ، عنوانها : « حدار يا شقيقي الروحي » ٠٠ وله أيضا قصائد أخرى ٠

كما أن له مجموعة من المقالات النقدية ، تتنـــاول وظيفة الكاتب الأفريقي ، ودوره في أمته الجديدة ·

وتشينوا اتشيبى الآن فى الخامسة والأربعين من عمره • ولد سنة ١٩٣٠ فى قرية أوجيدى ، شرق الاقليم الأوسط من نيجيريا ، الذي يتحدث لغة الايبو • وقد تلقى علومه فى بلاده باللغة الانجليزية التى تنتشر بين سكان غرب أفريقيا • وأثناء عمله فى اذاعة لندن سينة ١٩٥٦ وما بعدها ، أتيح له زيارة كثير من دول أوربا الغربية •

ونيجيريا التى ينتمى اليها هذا الكاتب تقع فى غرب القارة الأفريقية ، ويبلغ تعدادها ٨٠ مليون نسمة ٠ وهى بذلك ، اكبر دول غرب أفريقيا تعدادا بالسكان ٠ واكثرها ثراء من عوائد البترول ٠

وبحكم تدكن تشينوا الفائق من اللغة الانجليزية ، التى أحرز فيها شهرة عالمية ، كتب بها انتاجه الأدبى الذى يسوده يقين راسخ ، هو أن تاريخ افريقيا العريق ، الممتد عبر الاف السنين ، تاريخ زاخر بالقيم الأصيلة الباقية ، في حياة الأفريقيين وشعائرهم الدينية ، التى تتصارع

فيها ، في حاضر الأيام ، الأفكار الجديدة للشباب ، ضهد الأفكار التقليدية القديمة •

وهذا الصراع لا ينشب بين العشائر المختلفة ، بل داخل العشيرة الواحدة ، التي ترتفع فيها قيمة المشاركة الى أقصى مدى ، ويقتضى العمل فيها أن يصبح الفرد جزءا عضويا من الكيان الاجتماعي القائم . متآلفا مع جوهر روحه، لا جزءا منفصل عنه ، مناهضا له ، على الشاكلة التي تطالعنا بها المجتمعات الغربية الحديثة ،

واعتناء تشينوا اتشيبي بتصوير العلاقة بين الغرد والمجتمع ، يمضى على نفس الوتيرة ، التي تغلب على الأدب الأفريقي ، كادب اجتماعي واضع الدلالة ، يحمل رسالة قومية محددة ، وان لم يتحول الى أدب تعليمي .

على أن هذا الصراع المحلى ، الذى تتراءى فيه الشخصيات الافريقية المتصارعة ، شخصيات جسيمة ، قوية ، سخية الحس فى تكتم ، لا تعرف التنازل او الرضوخ ، كان يهدف فى المحل الأول ، الى تعرية المستعمر الأبيض ، وفضحه الما العالم المعاصر .

ويعه هذا الموقف أحد الأبعاد الرئيسية لفكرة المواجهة في أدب تشينوا أتشيبي ، التي تصطهم فيها الثقافية والكونات الأفريقية اصطدامات ملحميا بالثقافة الأوربية ، حيث يثبت التاريخ القومى التليد ، السابق على السيطرة الاستعمارية ، حضوره الحقيقى ازاء المزاعم الخاطئة التي يدعيها الرجل الأبيض ، وهى أنه لم يكن للأفريقيين تاريخ أو ثقافة من قبل •

ان أدب تشينوا ، الذى يبلغ درجة عالية من الاكتمال الفنى ، عبارة عن محاولة قوية وهادئة لعرض الجادور القديمة المترامية ، وتقوية عناصرها الساكنة المطاءة ، التى تتغلغل في مساحات افريقية ، تزيد وقعتها عن مساحة أوربا عدة مرات ، وتمتلك حدودا اوسع منها ، وأقل تنافرا في خصائصها القومية ،

أما ((تداعى الأشياء)) فهو النتيجة الحتمية للتفكك الذي أصاب القبائل الافريقية ، تحت تأثير الاستعمار ، وأدى الى فقد القدرة الفطرية على التماسك كمجموع ، سواء على المستوى الاجتماعي ، أو على المستوى الخلقى ،

وحين شعر أتشيبى ، بعد ذيوع رواياته الشلاف ، أنه حقق بعض ما أراد التعبير عنه ، كما بد متبتل للأسلاف ، يستشمر الهيبة والسمو والماساة في الماضى ، اتجه بكل ثقله في الرواية الرابعة ، ((رچل من الشعب)) ، الى الحساضر ، بروح التعاطف والفهم ، حتى يتسمنى له التصدى لقضاياه السياسية والاجتماعية الملحة ، التى لا يستطيع كاتب افريقى معاصر أن يتجاهل بدائيته وتخلفه

وفساده ، خاصة وأن هذا الوضع الذي يشبه الوقوف تحت المطر في العراء - شديد الارتباط بالمستقبل ، الذي بدأ شعب بلاده يتقدم اليه ، بعد الاستقلال ، وقيام حكم الولايات الاثنتي عشرة -

ويتفق هـذا الموقف من الحاضر مع النداء الذي وجهه الكاتب النيجيرى وول سوينكا ، في مؤتمر الكتاب الأفريقيين الاسكندنافيين الذي عقد في استكهولم في فبراير سنة ١٩٦٧ ، ومفاده ان يتخلص الكاتب الافريقي على الفور « من انشخالات الرومانسية بالماضي ، وأن ينصرف بكليته الى مواجهة خطر التفكك الذي يظهر في كل مكان بأفريقيا اليوم » •

ولاشك أن معرفة تشينوا الحميمة بماضى بلاده ، تضفى على نظرته الى الحاضر والمستقبل قدرا أكبر من الرعى والسداد ، يفتقده أولئك الذين لا يعيشون الا فى الحاضر الراهن وحده ،

واهتمام نسينوا اتشيبي بالتركيز على الملامع المادية الشخصياته ، ينبع من استيحائه صور البطولة الفردية ، ومظاهر الجمال المخارجي الكثيف ، الذي تفيض به القارة، فضللا عن ان هذا التناول يعد من التقاليد الثابتة في الآداب الافريقية القديمة ، التي حافظ تشينوا عليها ، باعتراف معظم النقاد ، ونقل معانيه خلالها ، ولو أن

الشاعر العظيم ماجولواني وفق في بداية القرن التاسم عشر ، الى تطويرها نحو الآفاق الدرامية ، التي تقوم على الرمز المثير للفكر والخيال •

والذين يلمون بمشاكل الثقافة الأفريقية ، يعرفون جيدا أن الكتباب الافريقين يرفضون احتداء المساير الغربية في انتاجهم ، ويعدونها خطرا داهما على تطور فنونهم الأفريقية ، التي يجب أن تتمسك بقيمها وسماتها المخاصة ، في الأداء اللغوى والمعالجة الفنية ، وتفرض صيفها التعبيرية المبتكرة على المتدوقين في بلادهم ، أولا وأساسا ، وذلك بأن تأخذ في اعتبارها نوعية هذا الجمهور الافريقي، الذي يتمين عليها أن تسعى اليه ، وتخاطبه وحده ،

ولعلنا نبعد بعض خصائص هذا التناول في النبض الحار ، والموسيقا الحادة ، والصور والتشبيهات الأصيلة ، الخالية من أي تعقيد ، التي يتميز بها الأدب الأفريقي .

وقى ضوء هــذا المهوم الذى تتطلع الثقافة الافريقية الى تحريه ، يرى الناقد النيجيرى جوزيف اوكياكو ، رئيس تحرير مجلة الأدب والفنون الافريقية الجديدة ، ان روايات تشينو وأونور اتريكوو وفرانسس سيلورمى ، تمتلىء على السواء بالايضاحات والتفسيرات الملة بالنسبة للقارىء الافريقى ، التى وضعت بدافع ما يجول بخواطر

هؤلاء الكتاب عن القارىء الغربى ، الذى ينظر الى افريقيا شزرا ، ومن منا لم تلتزم هذه الروايات بالسياق الفنى للثقافة الافريقية ، التى يجب الاحاطة التامة بها ، بادىء ذى بدء ، لمن شاء أن يقراها من خارج نطاقها ·

ويضرب جوزيف أوكباكو المتل بشيكسبير ، الذي كتب عشرات المسرحيات ، دون أن يضم في اعتباره أن يفهمه القراء الافريقيون ، بل وضع في اعتباره ، وحسب ، ان تفهمه انجلترا ، وامتداداتها الثقافية الى عالم الغرب ،

على هذا الغرار يبجب أن يضم الكاتب الأفريقي نصب عينيه القارىء الافريقى ، ويشبيح بوجهه عمن عداه ، على الأقل فى هذه المرحلة •

وهــذا هو المـاخذ الوحيــد الذي تعرض له ادب أوتشيبي •

ه الماء ٥ ٤ القاهرة ٤ ١٣ سيتمير ١٩٧٥ ،

بفتوشسسنكو

يؤمن الشاعر السوفيتى الماصر يوجين يفتوشنكو ، ككل شاعر أصيل اداته الكلهة الموقعة ، ان سيرة الشاعر الحقيقية هي مجموع قصائده الملهمة ، وليس ما يكتب بالعقل الهاديء عن نفسه •

وخلاصتها انه شماعر ملتزم بالاختيار الحر لا بالالزام ، يؤمن بأن الشعر سملاح في المعادك ، ولكنه وقد نشرت هذه السيرة فى بادىء الأمر على شكل مذكرات فى مجلة اكسبريس الفرنسية ، اثنـــاء مروره بها فى رحلة من رحلاته العديدة التى يطوف بها العالم ٠

ومع هذا عاد الغرب واعتبرها موجهة ضد الاتحاد السوفييتي . واستنكرت « البرافدا » كثيرا مما جاء بها •

ثم جمعت هذه الصفحات بعد ذلك فى كتاب ترجمه الى العربية بلغة حية تضع الكلمة العامية فى موضعها المنضبط الأستاذ حليم أحمد طوسون ، وصدر فى سبتمبر سنة ١٩٦٧ عن ـ دار الكاتب العربى ـ بعنوان ((حياة شاعر)) •

كما سبق للأستاذ كامل زهيرى أن قدم ترجمة كاملة له في عدد مجلة « الهلال » الخاص الذي صدو عن الشاعر في أول مايو من نفس السنة •

ويوجين يفتوشنكو شاعر شاب ، يتمتع بشهرة واسعة داخل بلادة وخارجها ، لم يتمتع بها شاعر فى مثل سنه ، يحمل مع زميله فوزنسنسكى ريادة الشعر الجديد، وترجمت اشعاره إلى عديد من اللفات ، ومن ضمنها اللغة العربية • ولد سنة ١٩٣٣ ، اى قبل العرب الكبرى الثانية . فقدر له أن يعمانى أهوالها صغيرا ، ويواجه ، ابان صباه وشبابه الباكر ، التناقض القائم في المجتمع الروسي .

بدأ في الخمسينيات يلقى قصائده على المالاً في الميادين والساحات ، في المناسبات القومية والأعياد ، بطريقته الحماسية التي يتحول فيها جسده الفارع الى كتلة من الانفعال العميق ، وحركته الرشيقة الى تعابير حسية احرز بها اقبالا جماهيريا منقطع النظير ، ولمع اسمه في سماء الأدب السوفيتي المعاصر ، يطبع من كل ديوان مائة ألف نسخة تنفد توا ، ويطلق عليه اسلم « الشاعر العاصفة » •

وهو يتخد مادة اعماله الفنية مما يشغل الصحف اليومية ويلقى اهتماما حقيقيا لدى القراء: الفواجع الإنسانية ، نضال الشعوب وقضاياها من أجل الاستقلال والتحرر ، الحياة المجديدة المتطورة ، بقايا التناقض في المجتمع ، أحلام الشباب ونزواته وصدقه •

وفي هــذا الكتاب يصحبنا يوجين يفتوشنكو في رحله فكرية خصبة ، بعيدة الآماد ــ حالمـة بعض الشيء ومجردة بعض الشيء ــ على حد تعبيره في اللقاء الذي عقده معه في موسكو فيليب جــلاب ، ونشر بجريدة « الأخبـار » في موسكو فيليب جــلاب ، ونشر بجريدة « الأخبـار » في خلالها من فكرة الى فكرة ، ومن مشهد انساني الى مشهد خلالها من فكرة الى فكرة ، ومن مشهد انساني الى مشهد

آخر ، نحيط في غفيسونها بكشير من القيم والمساعر . وبمصادر الحياة التي نشأته ، وثقافت. ، ونتعرف على قلقه المبكر ، وتمرده الذي طبع عليه عندما كبر ، في مرحه وتطلعاته ومخاوفه وجديته جميعا .

أول الأفكار التي يتلقاها القارىء رأى يفتوشنكو في الشعر ، ومجمله أن شهر الشاعر أن لم يتمش مع حياته تنكر له النظم • وههذا يعلل رفضه للالتزام الذي فرض على شعراء ما بعد ثورة ١٩٩٧ ، الذين انكروا ذواتهم ، وكتبوا أشعارهم المفتملة بصيغة الجمم •

اما هو فانه يعبر عن الأفكار والأحاسيس الجديدة التى عاشتها روسيا بصوته الفرد الصريح المكاشف ·

بذلك حل يفتوشنكو المعادلة التى يقف أمامها الادباء بنقل « همسات الآخرين دون أن أتنكر لنفسى » ·

ويمثل هذا التوفيق موطن قوة الشاعر الصادق الذي يكتب ما يحس به ويفكر فيه ۱۰ انه يؤمن ايمانا راسخا بالموهبة ، التي تنبثق كما ينبثق نبع الماء من الأرض أو الصخر ، والا تحول الشعر الى شعارات ولعل هذه الهمسات عنده ما على خلاف ما نستشف من روحه ما توى جدا في نفسه ، رغم كل شيء ، لارتباطه الشديد

بالمجموع ، ولاتساعها لتاريخ روسيا الذي تتكرر نغماته في اشهاره •

بعد ذلك ينتقل الشاعر الى مولده ، فى محطاة سيبيرية صغيرة ، ومن أصل أوكرانى ، فى أسرة تعتبر كلمة الثورة عقيدتها •

تعرف والده على أهله النساء طلب العلم في معهد الجيولوجيا . في العقد الثاني من هلذا القرن • في هله المرحلة التي بدأت فيها البروليتاريا تعتلى اماكنها السحيحة في المجتمع •

طالع في سن الثامنة من مكتبة أبيه مؤلفات كبار كتاب روسيا والمانيا وفرنسا وانجلترا ، ومنيا تعلم حب الكتب ، ونمت في صدر بذرة الشاعرية التي طمرت في صدر الآب المهندس البيولوجي ، واكتفت بالتعبير عن نفسها بقراءة القصائد الشعرية للابن .

ومن أمه المغالبة في الثورة تعلم حب الأرض وحب العمل ، فنجا ، بهذا الجانب العملي ، من تعالى المثقفين الذين يحصرون انفسهم في الكتب ، ويشمخون بها .

مرت به الحياة هادئة ، الى أن وقع العدوان النازى الخاشم على بلاده فى يونيو ١٩٤١ ، وهاجر مع أمه الى قرية زيماً • وخلل معاناة أهوال المعرب ، التى تجسمت أمامه شرورها ، آمن بالسلام ، وتضاعفت حساسيته ، وادرك معنى الوطن : رجال ينبضون بالحياة •

هؤلاء الرجال هم الذين استطاعوا ، بفضل اخلاصهم وفدائيتهم ، الانتصار في الحرب •

كان الشباب المجند في هذه القرية « زيماً » يعقد زواجه على الفتيات ، قبل التوجه الى جبهة القتال بليلة واحدة ، قد تكون هي الليلة الأخيرة على نحو ما ذكر يفتوشنكو احداثها في قصيدة « الزواج » أو « العرس » ، التي القاها بنفسه في دار الأوبرا بالقاهرة عند زيارت للقاهرة في أبريل الماضى ، بعد حضور المؤتمر الثالث لكتاب آسيا وأفريقيا ببروت •

وهى أحداث واقعية عاشها الشاعر بالفعل ، بكل ثقلها ومرارتها ، لأنه كان يقوم فيها هاتيك الأيام بدور الراقص ، مقابل قطعة خبز ٠٠ كذلك شهد أمه المحطمة على المنصة وهى تغنى بصوت مكسور ٠

وعلى الرغم من فظاعة النكبات التى أنزلها الألمان بنساء روسيا عند اكتساح الجبهات الأمامية ، وتدمير المدن والمسانع والمزارع ، وابادة الملايين : الزوج والأدب والابن والأخ ، فعندما سار طابور أسراهم في شهوارع موسكو ، مثقلا بالجراح ، منهكا ضعيفا ، تتقدمن اليه بالخبر والدخان في لحظه من لحظات العطف الانساني التي تقدم لنا الشعب السوفيتي في صورة من اجمل الصور .

الناس جميعا تلتحم فى النهاية تحت تأثير الألم · رزية من رؤى الشاعر الإنساني ، ركزها فى هـنه المعاملة · الطيبة ·

من هــذه الأحــداث التاريخية ، ومن الصعلكة في الشوارع التي مارسها بسبب افتراق ابيه عن امه ، بدأ يفتوشنكو ينظم قصائده بحرارة وجسارة من تلقى المرفة من الكتب ــ الأدبية والفلسفية ــ والحيــاة معا ٠٠ وكانت قصائده الأولى على منوال الفولكلور الذي خذ يدون اغانيه. خوف أن تضيع « هذه الثروة اللغوية الشعبية » ٠ خوف أن تضيع « هذه الثروة اللغوية الشعبية » ٠

وككل شاعر مبتدىء ، رفضت اعماله الأولى ، غير ان الياس لم يتطرق الى نفسه ، ولم يعلن بطلان الكل ٠٠ بل صبر حتى تلقى مرة خطابا من احدى دور النشر ، موقعا باسم شاعر كبر ، لفت نظره فى قصائد يفتوشنكو امتلاؤها بقصص الحرب ، والغرام الفاجع ، والإلم ، فطلب مقابلته ، وهيا له من فرص النشر ، وشدق طريق فى الحياة الأدبية ،

الا أن أمه التي شهدت مصرع عديد من شهداء روسيا خافت على ابنها من المسير الماثل ، وأخذت تمزق ما تصدل اليه يداها ، وتتوسل اليه أن يهتم بشيء آخر الا جدى » • ولكن أية قوة تستطيع أن تقاوم موهبة أصيلة نامية ، وهبت نفسها للكلمات ؟! وأى شيء أولى عند الشاعر من قضاء السنين في البحث عن جديد القوافي . وتأمل أشكال فنه التي يعتبرها وسيلة للمضمون ؟!

يلى ذلك صفحات بالغة الأهمية ، يحلل فيها يفتوشنكو مجتمعه الروسى ، الذى وله نظامه الماركسى من الآلام الباهظة ما الأمر الذى يزكد ان المسائب التى تلم بأمة تؤدى الى نتائج عكسية ،

وخلال هذه الأسطر نتعرف أكثر من ذى قبل على هذه الشخصية الطلقة التى تكره القيود · انظر تعليقه على على تعنت ستالين فى تطبيق الشيوعية تطبيقا مطلقا ، ولو ضحى من اجل ذلك بالانسان · وينطبق هـذا الوصف ايضا على الأدباء الذين سجلوا ، بكلمات لا نبض فيها ، التقدم الحضدارى ممثلا فى الآلات ، وحسب ، دون الالتفات الى العمال أنفسهم ، صناع هـذه الآلات · واصيبوا الى السعار من اجل الحسول على الجوائز ،

لا غرو ان يعتبر يفتوشنكو ان كل ما عانت منه روسيا من مظالم وكآبة ، سياسسيا وادبيا ، يرجع الى همذا التعنت ، وبصفة خاصة الى اولئك الذين يشهرون تهمة العداء للثورة ضد اعدائهم الشخصيين ، ويعيشون فى بذخ الى جوار الإحياء الشعبية الفقيرة ! •

وحين مات ستالين في ه مارس ١٩٥٣ تجسدت له المأساة في التمسك الاخرق بالأوامر ، أثناء الفوضى الدامية التي وقعت ، وديست فيها الأجساد بالأقدام مذه الماساة او ما يعرف بالحرب الأهلية (١٩١٨ - ١٩٢٢) ، التي كشيف ستارها سينة ١٩٥٦ ، وحمل على كاهله عبء _ انقاذ الشيباب من العقائد الجامدة واللامبالاة وذلك بتنقية مثلنا الثورية _ على نحو ما عبر عن ذلك في قصيدة « معطة زيما » ، وجعله واجبا من واجباته في معارك المستقبل ه

ولعمق ايمان الشاعر بقوة بلاده الذاتية لم يبعد أدنى حرج فى مواجهة الاخطاء ، ومكافحة كل ما يحول بين الشعب وبناء هذا المستقبل ، غير آبه بآراء النقاد أو لوم الأصدقاء أو المتزمتين الذين يتزيون بأذياء الغيرة الوطنية ،

لقد فضحهم الشاعر في قصيدة نشرتها « البرافدا » مع أنه ليس عضوا في الحزب ، عن خلفاء سيالين ، اذ صدورهم يهاجمونه فوق المنابر ، اعتلاء للموجة ، وفي الليل يحنون الى أيامه الخالية .

ان الكلمات الصادقة وحدها هى القادرة على انتشال الشبان من حالة الركود ما الكلمات التى تنفذ الى نفس الشعب ، فيحملها الى المصانع والجامعات والمدارس والمعاهد العلمية ٠٠ في مسيرة متفتحة واثقة دائمة التدفق.

يتبوأ الشاعر فيها ، أينما حل ، مكانة أثيرة لدى الجماهير، خاصة الشبان الذين يكنون له « اندفاعا صاعقا » ، بنص وصف عايدة مطرجى ادريس فى مقابلتها معه بباكو عاصمة جمهورية اذربيجان أثناء انعقاد مؤتمر الكتاب السوفيت لتأييد فيتنام ، التى نشرت فى عدد أكتوبر ١٩٦٦ من مجلة « الآداب » •

وتتناول الصفحات الأخيرة من هذه السيرة عرضا للأدباء السوفيت البعدد ، ولقاءه بالعديد من الشعراء ، في مقدمتهم باسترناك _ الروائي الشساعر ، ويوميء يفتشنكو الى الظروف السيئة التي مرت بها بعض قصائده ، وتذوقه للفن التجريدي ، وسياحاته الحرة خارج الاتحاد السوفيتي •

[«] الثورة » ، دمشق ، ٣٦ مارس ١٩٦٨ .

رسيول حميزاتوف

(1)

يعرف اسم الشساعر السوفيتى رسسول حمزاتوف كشساعر من شسعراء الانسانيسة العظام ، اللاين ترجمت اشعارهم الى العديد من لغات العالم •

بدأ حياته الشعرية وهو دون العشرين من عمره ٠ وفي سنة ١٩٤٣ صبدر ديوانه الأول ((حب قوى وحقد شبديد)) ٠

ومنذ هذا التاريخ صدر لرسول حمزاتوف ما يزيد عن عشرين ديوانا ، بالاضافة الى كتابه النثرى ((داغستان بلدى)) ، الذى يحكى فيه سيرته الشخصية ، وحبه للأشجار والغابات فى بلاده ، وتقديره لأدب الشعب ، الذى يرى فيه ينبوعا ورافدا للأدب ككل ،

من هذه الدواوين : « النجوم العالية » (١٩٦٢) ، « جدلية » (١٩٧٤) ، « الخنجر والوردة » (١٩٧٤) ، « كتاب العب » (١٩٧٤) ، « أساطير » (١٩٧٥) ، « كلمات النساعر » (١٩٧٩) « جزيرة النساء » (١٩٨١) •

والى جانب الشعر والنثر يمارس رسول حمزاتوف الترجمة من الروسية الى الأفارية ، لغة وطنه داغستان ، التى يكتب بها اشعاره ،

ومهن ترجم لهم يسنين ، نكراسوف ، بوشكين ، وغيرهم من الشعراء الذين يعكسون حبا عميقا للحياة ف الماضى ، ليس كزمن انقضى ، وانما كنبوءة للمستقبل ، وذلك بهدف التعرف على روسيا الحقيقية التي لا تستسلم ابدا ، رالتعرف على شعبها الذي يملك تراثا رائعيا .

اما من لا يحفل بالماضى وآثاره ، ولا يتورع أن يطلق عليه الرصاص ، فان هذا الرصاص ، كما يقول حمزاتوف. يرتد اليه لا محالة ، في شكل طلقات مدفع .

ويشبه رسول حمزاتوف دوره كشاعر بدور المراسل للوطن ، ولعله يقصد المراسل الحربى ، وان كان شعره يفصم عن الانتماء والتواصل مع العالم أجمع .

واثناء وجود حمزاتوف فى القاهرة للمشاركة فى الندوة الدولية « الأديب وقضايا العصر » ، التى نظمها اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا بالاشتراك مع اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية ، فى الأيام الأخيرة من شهر مسارس الماضى ، كرر حمزاتوف فى معظم أحاديث الى الكتاب والمثقفين معنى الشاعر المراسل للوطن ، وذكر أن لقاء السعواء بعضهم ببعض يعد فرصة لأن تصبح أغنية كل شاعر اغنية للشعراء الآخرين •

ورسول حمزاتوف لا يعرف من اللغات غير الروسية والأفارية ، ربما عن قصد ، لكى تبقى لغته ، وهى الأفارية، صافية نقية ، لا تؤثر عليها أو تعكرها لغة الحرى ·

ورغم أن الشاعر أيدنى في هذه الملاحظة التي أبديتها كتفسير لعدم معرفة للغات أخرى ، وقال لى « الحق دعك » ، فأنه يرجع عدم معرفته باللغات الى أن الله أليست لديه موهبة في تعلم اللغات ، ولم يتيسر له وهو صغير من يعلمه أياها ، وقد فأته القطار الآن ، وحتى لغته الروسية لا ينطقها بشكل صليم ،

ومع هذا لا يشعر رسول حمزاتوف بخيبة امل ، لأن اللغة ، على أهميتها ، ليست كل شيء ٠

لذلك كان لابه من وجود مترجم معى عن العربيــة ١ أو الانجليزية) الى الروسية أو الافارية ، وبالعكس ، لاجراء الحوار معه • وقد تفضل المستشار الثقافي للسفارة السوفيتية بالقاهرة ، ايجور دانيلوف ، بترتيب هــذا اللقاء مع الشاعر والمترجم ، وقد استفرق ساعة ونصف الساعة •

 في بداية هذا الحوار ، هل يمكن أن تطرح مفهومك للشعر ؟

حدا سؤال مطروح منذ آلاف السنين ، لكنه لم يجد الجواب الدقيق أو النهائي • فاذا اقدمت انا على الاجابة عليه ، فسيكون ذلك بمثابة عمل طائش • فمهما كان تعريف ناقصا . كان تعريفنا في جميع الحالات ، لأنه سيظل من المكن لشاعر آخر أن يدحض هذا التعريف آخر .

الا أن هــذا لن يمنعنى من أن ارى أن الشعر هو الحب ، لأنه يتوق الى الحب ، كما يتوق قلب الانســان الى قلب آخر ٠

والنثر هو الفكر ، لأنه يتوق الى الفكر •

والشعر يختلف باختـالاف الشــعراء · ولا يصبح حقيقيـا الاعندما يتحول الى ظاهرة حياتيــه ، يتنفســه الانسان بمشاعره ·

واذا كنت أحب العواطف ، فانى أفضـــل العقــل والفكر ، وفي رأيي أننا لا تحتاج الى الشعر الخالي من

العنى • ولكننى فى نفس الوقت أرى أن الشمر الذى ينطوى على حكم وفلسفات لا جدوى منه •

وما هي علاقة الشعر بالحياة ؟

ــ اذا كان من الممكن تشبيه الحياة بالنهر ، فان الشعر عبارة عن مجرى مائى صغير يمته بمحاذاة هــذا النهـ •

وبالنسبة لى الشعر نوع من الحياة ، الأنه نابع من الطبيعة · أما الحياة فهي مثل الطقس ·

واذكر هنا أن الشاعر باسترناك كان كثير التجول في الغابات في شبابه و ولكن بعد أن تقدمت به السمن قضى معظم حياته في بيته الريفي ، وأبدع فيه مؤلفاته الشعرية ،

ولم یکن الشاعر حافظ شیرازی یعب شیرا فی الطبیعة والحیاة غیر الورد ونساء شیراز • ومع أن أصفهان کانت قریبة منه ، الا أنه لم یغادر شیراز أبدا الی آیة مدینة آخری •

أما الشاعر سعدى ، الذي كانت شير از مسقط راسه. فكان على عكس شيرازى ، دائم التجول في بقساع العالم .

وهكذا ترى شاعرين من وطن واحد ٧ و يغادر احدهما المكان الذي يعبش فيه ، ولا يتوقف الآخر عن الترحال !

ومن الشعراء من يرى أنه من الأفضـــل للشـــاعر أن يقف على شاطىء البحر ، من أن يلقى بنفســه فيـه .

وهناك قول عربى مأثور يغيد ان الحمار اذا ذهب الى مدينة عظيمة فلن يتغير ، وسيبقى حمارا ، ولن تستطيع المدينة أن تخلم عليه صفاتها ،

أرجم أن تعرض على القراء الموضد وعات التي تنسيج منها أشعارك ؟

اول هذه الموضوعات الوطن وأنا اعتبر نفسى مراسلا لوطنى ولمنطقتى الى العالم ، ولو ان الشمعر لم يبدا باسمى ، ولن يتوقف عند اسمى ، لأن كل الشمعراء كتبوا عن الوطن .

الموضوع الثاني في ابداعي الشعرى هو الزمن الذي نعيش فيه ، ونحن جميعا شهود عيان على عصرنا .

وحيث انى رجل ، فمن المفروض أن تكون المرأة أحد المواضيع الأساسية فى شعرى • وأعتقد أن مقياس الشعر المبدع مدى قدرته على تصوير المرأة •

وانا عندما ارى امراة على شاطىء البحر ، لا أدرى هل هى زينة للبحر ، أم أن البحر زينة للمراة ؟! أعتقد أن كليهما زينة للآخي .

المرأة تزين الأرض كلها ، بما فيها من بحار وجبال وغابات •

۲۰۹ (م) ا ... الكتابــة) والأرضى ، بكل ما فيها من جمال ، تزين المرأة •

من القصائد القصيرة الجميلة ، المترجعة لك الى اللغة العربية ، قصيدة « الكرة الأرضية » ، لأنها تثبت انك شاعر انسانى ، تشعر بامتلاكك للكون كله .

كيف عبرت عن هذا المعنى في هذه القصيدة ؟

ليست الكرة الأرضية بطيخة تشق بالسكين وتلتهم ، وليست أيضا كرة قدم ، تتقاذفها الأقدام ، ولكنها تبدو لى كوجه الحبيبة ، التي لا تملك دائما الا أن تضمها الى صدرك ، وتعسج الدموع المنحدرة من عينيها ،

◄ كيف يمكن للشعر أن يكون ، كما تريده فى
 كتاباتك النثرية ، عاريا ، شجاعا ، لافتا للنظر ؟

_ الحقيقة اننى ، عنه كتابة الشعر ، لا افكر في هذه السئلة ، لأن الشاعر اذا استغرقه التفكير فيما ينبغى أن يكون عليه شعره ، فالأفضال الا يكتب شعرا ، كذلك اذا فكر الانسان كيف يسير في الطريق فلن يصال الى عدفه ، ومن يكون شجاعا ،

لقه كانت النسساء في الجبسال في المساضى يرتدين الحجساب، وكذلك كان الحب • وكان الشسعر عاريا . متفتحا •

اما الآن فالمراة تنزع حجابها ، بينما يرتدى الشعر الحجاب • كنا في الماضى نعرف قصص حب الشعراء البارزين، مثل بوشكين ، ليرمنتوف ، بلوك ، يسنين ، ماياكوفسكي، ولكننا في أيامنا المعاصرة لا نعرف قصة حب شاعر واحد من الشعراء ، وكلهم يكتبون بصورة عامة .

🍎 وهل هذا ينطبق على رسول حمزاتوف ؟

لقد نظمت القصائد الكثيرة عن أمى فاطمة •
 وكتبت كذلك عن زوجتى التى تحمل نفس الاسم ، وقصائد
 أخرى عن ابنتى ، واسمها أيضا فاطمة •

ولهذا وصفت بأنى متخصص فى العلوم الفاطمية ، على نسق المتخصصين فى العلوم الرياضية ، اذ أن تعبير العلوم الفاطمية ينطق فى الروسية كما تنطق العلوم الرياضية .

ما هى المؤثرات الأساسية التى تعتقد إنها شكلت
 حياتك الشعرية ؟

ـ ولدت بعد الثورة عـام ١٩١٧ ، وكانت هـــنـه الثورة بمثابة هزة كبيرة ، ولولاها لمــا اجتمعناف القاهرة، ولمــا أجريت معى هذا الحديث ·

ومنذ نشأتى في الصغر وتراث الشعب الداغستاني يعتبر حيا بالنسبة لى ٠

ثم هناك الحرب الكبرى الثانية التى رأيتها وراح ضحيتها عشرون مليونا ، ولقى اثنان من أسرتى فيها مصرعهما • ومما أعده من الهزات الكبيرة فى حياتى ، وترك أثرا فى نفسى لا يمحى ، حضور أعمال سنة مؤتمرات فى الاتحاد السوفيتى ، فتحت الباب على مصراعيه لاعادة النظر فى كل شىء ، واتضح خلالها أن ستالين ، الذى أحيط بما يشبه العبادة ، كان بعيدا عن أن يكون شخصية مقدسة ،

و تحن نشعر بالفرح الذي يخامره القلق ازاء عملية التغيير واعادة البناء اليوم « بيريسترويكا » ، والانفتساح « جلاسنوست » نتيجية الاختيازف في الرأى ، وان كان الإختلاف لا يعدو اختلاف أفراد الأسرة الواحدة حين ينتقلون الى بيت جديد ، ويقومون بترتيب أثاثه في الغرف ،

من أى نبع غنى يتدفق حبك للانسان والعالم ؟

_ أعتقد أن هذا الحب يرجع ألى المهد ، ألى الأرض التى ولدت عليها • لقد ولدت على أرض حجرية . صخرية كان من الصعب أن تعطى محصولا زراعيا وفيرا • ولكنى ولدت فى بلاد شامسعة ، ينبع حبى الموروث من أرضها ، ويتجه حبى المكتسب للعالم كله •

لقد جعلتني الأرض ، ارض الوطن ، احب العالم · وعلمني العالم الذي رأيته إن احب ارض الوطن ·

لا المدستور لا ، لندن ، ٢ مايـو ١٩٨٨ .

تعرف الثقافة العربية الشاعر رسول حمزاتوف من خلال الأشعار التي ترجمت له ونشرت في أكثر من كتاب . كما تعرفه من خلال لقاءاته بالكتباب والشعراء والمثقفين العرب ، وأحاديث معهم ، آثناء زيارته لبعض الأقطسار والعواصم العربية ، حيث يستقبل كشاعر عالى من شعراء العصر القلائل الذين يجمعون في ابداعهم بين هموم وطنهم ، وقضايا الإنسانية ،

في هذه الإشعار التي يقدمها رسول حمزاتوف ينفتح الجزئي والخساص على الكلى والعام ، ويتفسافر ما هو محلى مع ما هو عالى ، وتتصل اللات بالآخرين ، ويكتسب الحلم والخيال قوة المادة والتحقق ، وتتلازم القدمات مع النتائج تلازما جدليا ، يولد فيه النقيض من النقيض •

ومع هذا فرسول حمزاتوف شاعر واقعى يكتب ما هو واضمح وسمل ، لا ينأى عن الأرض « المخبولة » ما على حد تعبيره مد بما تزخر به من معارك ضارية ، ولا يغفل عما فيها من زيف ولامبالاة ، ولا يفقد الأمل في صالاح المالم ، يعزف رسالة الشاعر على الوتر المسدود للقيثارة، لا على الوتر المرتخى الذي تعلو فيه الألحان الناشزة ،

على هذا الوتر المشدود يغنى رسول حمزاتوف حياة الشعب وتاريخه المتزج بالجغرافيا ٠ يبكى ما في الحياة

والتاريخ من كد وبؤس وأوجاع وأحزان ، وينشد ما فيها من حقيقة وانتصارات وبطولة ومسعادة وجمال ، داعيا الى الحب والفرح والاخاء بين البشر ، والى الدف اع عن السلام العادل ، والعكمة ، والسمو .

هذه رؤية رسول حمزاتوف كشاعر عميق الحس بالانسان والطبيعة ، على وعى كبير بالتحولات التى تجرى في حياتنا ١٠٠ انه يرفض اطلاق الرصاص من المسهسات على الماضى ، ويرفض الاستهانة بنساتير الآباء ، أو تشدويه التاريخ ، لكيلا يطلق المستقبل مدافعه على حاضرنا ، ويخاطب أمه الجبلية التى تنير له الطريق بالشده و على يخاطب ((نساء الأرض)) ، ويطالع في طيور السماء الرواح الشهداء ، وتتحدث بلسانه النجوم العالية في العتمة الزرقاء ، كأنها شخصيات حية ، وتنطق الضفادع في المستقعات الآمنة لتخيف الطيور الجارحة ،

يقول رسول حمزاتوف عن رسالة الشاعر:

(كان الرجال في جبسال داغستان رمن الصداقة
 وازدهارها بين المشاعر يهدون صفوة الأحبساب والخسلان
 أغلى الثياب، والسيوف والجياد والخناجر

اما أنا ٠٠ فانتى ، يا أيها الصحاب ، اهدى اليكم قصائدى ، رمز الصداقة والاخاء ، فانها لدى أفضل الجياد والثياب ، وانها يا أصدقائى صعدتى (قناة الرمح) السمراء » •

(مختارات من الشعر السوفييتي ترجمة عبدالرحمن الخميسي وآخرين ، دار رادوغا ، موسكو ١٩٨٥) •

يكتب رسول حمزاتوف اشماره كلها باللغة الأفارية، لغة داغستان التي يتحدث بها الآن نحو نصف مليون نسمة ينتمون, الى عشرين جنسية ، لكل منها ادبها ووسائل تمبيرها وهو لا بجيد غير هذه اللغة ، حتى يحتفظ بنقائها، ولكنه في نفس الوقت يحمل كل التقدير للغة الروسية التي ترجمت اليها اشعاره ، وكسب منها آلاف القراء و

ولابد من الاشارة في هذا التقديم الى أن رسول حمزاتوف شاعر شديد التواضع ، لا يختلف في مظهره عن اي مواطن سوفيتي يعمل في المزارع أو المسانع ، وهو هادي، الطبع جدا ، خافت الصوت ، التقيت به في احدى زياراته للقاهرة ضمن وفد الكتاب السوفييت ، وجرى الحوار من خلال مترجم روسي يجيد الإفارية والعربية بنفس القدر ،

 ـ كان أبى معلمى الأول . قبل وجوده كان هنـاك شعر للحب ، وشعر آخر للنضال ، ولكنهما كانا كالوثرين المتباعدين ، فأضـاف أبى الى هذين الوترين وترا ثالثـا هو الموضـوع الاجتماعي ، وجعله ضمن اوتار آلة الشعر ،

ما هو الأسلوب أو النهيج الذي كان يتناول به موضوعه ؟

ــ كان ابى شاعر الحياة بكل ما فى هذه العبارة من معنى ، يصــور الأحداث والوقــائع والهزات فى بعدهــا الاجتماعى الصميم والحميم .

لننتقل الى الحديث عن الابن رسول ، الذى حقق شهرة اكبر من شهرة أبيه ، ولنبدأ بالتعرف على علاقتك بالثقافة العربية •

ــ علاقتى بالثقافة العربية كانت عن طريق ابى . فقد كان يتردد على المدارس العربية فى روسيا •

وعندها لم يجد مزلفات تشيكوف مترجمة الى اللغسة الافارية ، اخذ يقرأ مؤلفاته باللغة العربية التى يجيده لما ، على حين أنه لم يكن يعرف الروسية ، ومن اللغة العربيسة استطاع أن يترجم تشيكوف الى الأفارية .

اذًا أردنًا أن نضع يدنًا على الفروق الأساسـية بين الأب والابن ، لتتضع شخصيتك الفنية ، فهاذًا تذكر ؟ ـ لم يتعلم أبى اللغة الروسية كما اشرت ، هذه ظاهرة فريدة من نوعها ، ولو أننى اكتفيت بما تلقيته في المدرسية فقط ، دون أن إتعلم ما تعلمت من أبى ، لما أصبحت شاعرا ،

ولكن الشاعر لا يصبح شاعرا الا اذا كان مستقلا في ابداعه •

وأذكر أنى فى بداية حياتي الشعرية عندما كنت متأثرا بابداع أبى الشعرى ، كان الناس فى بلدى يعتقدون أن أبى هو الذي يكتب هذا الشعر ولست أنا ، وكان البعض منهم يسألنى باستنكار ظنا منه أن هذه الأشعار التي أتغنى بها أشعاره: ماذا حل بأبيك ؟ كان فى الماضى يكتب شعرا رائعا ، أما الآن فقد تدهور مستواه !

واعتقد الآن أن وجود شاعرين فى بيت واحد مسالة تفوق المعتاد ، لأن معناه أن المحسسول الزراعي لهكتار الأرض وفو جدا ٠

لذلك لم يقدر لى أن اكون شاعرا حقيقيا معترفا به الا عندما أصبحت مستقلا ، أملك شخصية خاصة ، ولا أقترن بأبى الا بالاسم ،

يتطابق ما ترويه هنا ، مع المثل الشعبى التونسى ((اسمين في الدوار يحيروا)) • وما دمنا نتحدث عن جيلين مختلفين من أجيال الشعر ، فما هو في رأيك محك الشعر الأصيل ؟

لا يمكن للشاعر أن يصبح شاعرا أذا تأثر بابداع شاعر آخر وأنا لا أحب الشعراء الذين يكتبون أشعارهم تحت تأثير ابداع شعراء آخرين ولو كان شعرى ، لأنهم يقلدون غيرهم • وطالما أن الأصل موجود ، فلا حاجمة لنا للصورة أو الصدى •

ولكل شاعر زمنه • والزمن هو الذى يجمل الشاعر أصيلا • والشاعر الأصيل هو الذى يتعرف النــاس على أشعاره دون أن يكتب عليها اسمه •

والموهبة المحقة شيء نادر جدا ، وهي لا تنمو بسرعسة مثل النباتات بعد المطر ، وانما تحتاج دائما لوقت طويل ، ولجهد ضخم •

كشاعر شديد الارتباط بالأرض والانسان ، أود أن أسبالك :

كيف يتكون الشاعر:

_ للشاعر ثلاثة معلمين:

الطبيعة ، والتجربة ، وعبقرية القرون ، أي الزمن •

والشاعر بمثابة فراشـة تجمع العسل من مختلف الزهور • وهو شاهد عيان على عصره ، ومراسل وطنه الى العـالم •

ان قضية الشاعر الأساسية ليست المشاركة نقط ق
 الحياة ، بقدر ما هي استيعاب هذه الحياة .

واذا كان القلق يعد صفة طبيعية بالنسبة لكل الناس.

فانها مهنة الشاعر القادر على التعبير عن هـذا القلق .
بينما لا يستطيع عامة الناس ان يصلوا الى هـذا
المستوى في التعبير أو يحفلوا به .

هذا عن الشاعر • ماذا عن الشعر ؟

_ الشعر مثل مطارحة الحب ، ظاهرة حياتية ، وان مضى فى بعض الحالات فى اتجاه . ومضت الحياة فى اتجاه آخر ٠

ولكنه قادر على أن يحيل العصر الى ساعة واحدة ، مثلما يقدر على أن يحيل الساعة الواحدة الى عصر كامل .

ما هي المراحـل التي تمر بها قصـائدك حتى تلتقي بالقراء في انحاء العالم ؟

__ اعتقد ان القصيدة في بدايتها تكون ملكا لى ، وذلك الى أن اقراها على صديقى ، فاذا قبل الصديق القصيدة ، ووقعت في نفسه موقعا حسنا ، فاني اقرؤها عند ثذ على داغستان ، الأنها غدت ملكا للإخرين ، فاذا قبلتها داغستان ، فلن اخشى شيئا ، واقرؤها على العالم كله ،

معنی ذلك ان الشيء الذي كان ملكا لي وحدى أصبح ملكا للانسانية كلها ٠

وهناك من يرى أن الشعر كلما اعتمد على الصداقة والصدق كان أفضل • . يفيض شعرك بالتعاطف مع الانسسان كانسسان . وبالحب الغامر له ، كمايفيض بالتنديد بقوى الشر والغربة ،

فكيف ترى الصراع بين الخير والشر؟

انا لست متخصصا فی القضایا النظریة • ومع هذا فانی أری أن للشعر جناجین : أن احب ، وأن لا احب الا أن جناح الحب فی أشعاری هو الآكبر •

وهذا لا يعنى اننى لا ألاحظ الشيء الذي لا أحبه ، فأنا أعارض الشر وأقف ضده • وقد صدد لى كتاب بعنوان « المخطيئة والعقاب » عبارة عن هجاء فكاهى موجه ضد النفاق والرياء والكذب ، وضد السياسة التى تؤدى الى الحقد والحروب •

كيف ترى عصرف في ضدوء هسلا الوعى الإنساني بصراع القوى المتنافضة ؟

ـــ اننا نعيش في عصر التقدم التكنولوجي • والناس يحلمون بالوصول الى كواكب ونجوم وعوالم أخرى الكنهم يتناسون أن النجوم العالية هي الناس ، هي البشر ، الذين يعيشون حولهم على الأرض •

ومهمتى كشاعر أن أجسد ما كان فى المساخى ، وأن أفكر فى المستقبل ، وأن أجه الطريق المؤدى ألى قسلب الانسان ، فأذا وجدت هذا الطريق الى هذا القلب ، فأن الانسانية يمكن أن تصل بدورها إلى العوالم الإخرى. ونعن نتطلع الى هـنه العوالم الأخرى البعيهة ، ما هي وجهة نظرك كعضو في مجلس السوفييت الأعلى ، في المتغيرات السياسية والاجتماعية التي يقودها بنجاح في الانتحاد السوفيتي جورباتشوف وتعرف بـ ((البيروستوريكا)) و ((الجلاسنوست)) ؟

.. لاشك أنالديمقراطية التي تسمح بالاختلاف شيء جيد • يحظى بموافقة القيادات • ونحن ننقد في ظلها الإجماع والعقلية الواحدة ، ونحيى حوار الدولة مع الشعب في القضايا الجارية •

ولكن البيروتراطية لا يروقها هــذا · وترفض أن تتخلى عن مناصبها ، وتواصل المقاومة وهي تطرح المهــام أمــام الأدب ، بعد أن كان الأدب هو الذي يطرح المهــام لنفســه !

ان الديمقراطية هي التي تؤدي الى الابداع ، وتعيد بناء البيت ، وتدفع الى الانتقال الى بيت جديد ِ

وهى التى تعيد الى الحياة الكتب التى كانت ممنوعة من النشر ، والأسماء التى كانت محتجبة أو مهاجرة ·

والكل يرحب بحرية التعبير ، ويدرك ان اعــادة البناء والمكاشفة ثورة حقيقية ، لا تنكر المــاضى ، ولكنها تثبت وترسخ تقاليد الشعب ، وكل ما يملكه من فضائل ٠

[﴿] الشمر ﴾ ، القاهرة ، أكتوبر ١٩٩٠ -

أدوارد البسي

أتيح الربعة من الكتاب والباحثين المصريين أن يعقدوا، وهم في القاهرة ، حوارا طويلا مع الكاتب الأمريكي ادوارد البي ، استغرق آكثر من ساعة ، عبر خط الكتروني أعلم المركز الثقافي الأمريكي بالقاهرة مع الكاتب في بيته بولاية أوكلاهوما ، التي تبعد حوالي ثلاثة آلاف كيلو متر عن واشنطن ، واستمع الى الحوار عدد من المثقفين المصريين والإجانب المهتمين بالمسرح الأمريكي بعامة ، ومسرح البي

تالفت المجموعة المصرية المتحاورة مع ادوارد البي من الكاتبين السرحيين عبد العزيز حمودة ، عميد كلية آداب القاهرة ، ومحمد سلماوي ، الذي تشبه تجربته السرحية في أوائل الثمانينات تجربة البي في مجال العبث النابع من الواقع المباشر ،

كما اشتركت في الحوار الدكتورة نبوية واكد، الحاصلة على درجة الدكتورة نادي البي ، والدكتورة نادية مسليمان ، أستاذة الأدب الانجليزي بجامعية عين شمس .

وادوارد البى (١٩٢٨) أحد أعمدة المسرح الأمريكي المعاصر • ارتبط اسمه بمجموعة الأسماء التى حققت للمسرح الأمريكي مكانته الوطيدة : يوجين أونيل ، وتنيسى وليامز ، وآرثر ميلل • عاش منذ طفولته المبكرة حياة مضطربة ، تصر على كتابة الشعر والقصمة والمسرح ، ويصر صاحبها على أن يكون كاتبا يأخذ موقعه في الدراما المحديثة ، ويدري قيمة التفاؤل في الحياة •

واهم مسرحيات البي : « حكاية حديقة الحيوان » ، « من يخاف « موت بيسي سميت » ، « الحلم الأمريكي » ، « من يخاف فرجينا وولف ؟ » • •

فى بداية الحوار ذكر البى أنه قليل التفكير فى نفسه ولهذا يصعب عليه أن يتحاث عن حياته الخاصسة ، التى يمارسها كأى انسان آخر ، فهر يفكر ، ويقرأ ، ويتعامل مع المجتمع ، ويشعر ان له حياة مشرقة ، مفيدة ،

وككاتب درامى يحتفظ بنقائه الداخلى ، يعتقد البي ان اســــلوبه يتحسن كلما مضى في الكتابة · فهو لا يزال فى منتصف الطريق • ومن الخطورة لمن يرى انه فى منتصف الطريق أن يعطى استنتاجات نهائية عن انتاجه • كما أنه من الصعوبة اختيار اعماله المسرحية عقليا •

ويذكر البي انه كتب ٢٥ مسرحية يقسمها بحسب اسلوبها ، وهضمون الحداثة التي تنتمي اليها ، لا بحسب ترتيبها الزمني • ويأميل ان يكتب عددا مماثلا لهيذه الأعسال •

أما مدى استمتاع الجمهور المشاهد بما كتب ، وما فى مسرحياته من جاذبية . فهذه مسمالة آخرى .

ولكن ما يمكن اللبى أن يقوله عن همله المسرحيات انها تتجه ، في اكتشافها لما يدور في ذهنه ، الى تغيير الطابع والتقاليد والتوقعات ، سمواء بالنسبة لمسرحياته الأولى أو الأخيرة ، وانها تعلى من الوهم والتخيل في عمالم حقائقه التابتة نسبية ٠

وعن مضمون هذه المسرحيات اشار ادوارد البي الى أن اهتمامه الأساسي بالناس في العصر الحديث يرجع الى اعتقاده أنهم ليسدوا في حالة عقلية سوية ، وانهم يعيشون في عزلة أو قطيعة ، تفشل معها كل محاولات الاتصال بالآخرين ، مما يدفع الى التفكير في البداية من نقطة منايرة، تتحقق فيها العلاقة بن الفرد والشيء مثل : (الفراش ،

الراة ، السجادة ، منعطف طريق) أو بين الفرد والحيوان، كما يقول جيرى فى مسرحية « حكاية حديقة الحيوان » ، أولى أعمال البى ، التي تتضمن كل أفكاره الفكاهية · الساخرة التي تمزق كل شيء ،

ویری البی انه فی مسرحیاته التجریبیة لفت انظار الناس الی امکانات هــذا الشــکل الفنی ، ووذعهم امام مسئولیتهم وضمیرهم (وعذه بلا شك قضایا عامة) ، وان کان یشك فی نجاحه ،

ومهندة الكتابة ، في عرف ادوارد البي ، مهنة دنمدسة ، تنبع من اللاوعي ، وثمـة علاقة قوية بين مسرحه وبين اللاوعي (وليس بين مسرحه والعبث) ،

وردا على سؤال خاص بأثر الكتاب جان جينيه ، ويونسكو ، وبيراندللو ، وتشيكوف ، قال البي ان لهؤلاء الكتاب سطوة ، وان تاريخ المسرح ، في السنوات المائة الماضية ، يملأ عقله ، وأنه تأثر بكل مسرحية قراها أو شاهدها •

(م 10 س الكتابــة)

وفى مجال التحليل النفسى هنساك مدرستان : مدرسة تضع الفرد فى اختكاك مباشر مع المجتمع ، ومدرسة ثانية ، وهى ، فى تقديره ، الأهم ، تضم الانسان فى احتكاك مباشر مع ذاته •

وتحت تأثير هذا الاحتكاك مع الذات ، تصبح ضمائر الشخصيات السرحية ، وعقلها الباطن ، مصدر قلق للمشاهدين ، لا لراحتهم النفسية •

وقليل من يعرف أن ادوارد البي يقوم باخسراج مسرحياته بنفسه في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ، ويقول البي انه يتعلم من المسرحيات التي يخرجها ، كما يتعلم من كل كتاب يقرؤه ، ورغم اشتغاله بالاخراج ، فهو يعتبر أن المسرح مؤلف أو نص أولا .

ويلاحظ ان استقبال الجمهور الأوروبي لمسرحياته التجريبية يفوق اقبال الجمهور الأمريكي •

ولعل هذا يرجع الى أن تأثره بالمسرح الانجليزى اعمق من تأثره بالمسرح الأمريكي • كما أن تقديره للكتاب الانجليز ، ولو أنه لانجليز يزيد عن تقديره للكتاب الأمريكيين ، ولو أنه يرى أن الجيل الجديد من الكتاب المسرحيين في أمريكا يعد أكثر أهمية من الأجيال السابقة ، لأن أعمالهم ليست من المسرح التجريبي الجيد، من المسرح التجريبي الجيد،

ومن الأسئلة المهمة التي وجهت الى ادوارد البي في الحوار ، سؤال عن طريقته في تلقى الإلهام ، وعادته في الكتابة • وكانت اجابته أنه لا يعرف أبدا كيف يأتيه الهام الأفكار • ولكن عندما يبدأ التفكير في مسرحية، تأخذ الشخصيات في التكوين أمامه ، كما يتكون في نفس الوقت المناخ الذي تتحرك فيه • وعادة ما يحتفظ البي في رأسه بأكثر من مسرحية في آن واحد • ويقدر البي الزمن الذي يحتفظ فيه بالمسرحية في رأسه من ستة الشهور حتى وع سئة ا

وعندما يشعر بوعيه الكامل بالحاح الكتابة ، يبدأ بشكل عادى في اى وقت ، وفي أى مكان ، حتى لو كان في طائرة ، الأن المسرحية تكون قد تكاملت في راسه قبل ان يضعها على الورق ، وهو يكتب ثلاث أو أربم ساعات يوميا ، في الصباح الباكر ، قبل أن يدهم عقله أى شيء كخر ، وتنتهى كتابة المسرحية في نحو أربعة شهور ، ثم يراجعها ويصحح بعض الأخطاء الطفيفة ، التي لا تتجاوز عادة ه // من النص ،

ویتهکم ادوارد البی علی الکتــاب الذین یکتبون ثمانی او عشر مسودات ، ویصفهم بالغباء · ولکثرة هجوم

وعلاقة ادوارد البى بالموسيقا علاقية حميمة ، فهو يستمع اليها في الصباح ، قبل أن يتوجه الى عمله ، لكى تنشيط عقله واحاسيسه ، وفي رأيه أن الصلة قوية جدا بين الدراما والسيمفونية ، فللمسرحية تكوينها الموسيقى الذي تتطابق فيه الدراما مع الموسيقا ، وهيو محب للموسيقا الكلاسيكية ، وعندما كان صغيرا كان يتمنى أن يكون مؤلفا موسيقيا ، ولكنه لم يصبح كذلك ابدا ،

وأخيرا سئل البي عن الكتابة للسينما والتليفزيون فاعترف بأنه يحب كتابة الأفلام ، الا أن كاتب القصة السينمائية لا يستطيع أن يتحكم في قصته في الفيلم ، ووصف التليفزيون الأمريكي بأنه تليفزيون تجارى ، وليس بالمنزل السعيد للكاتب الجاد .

لهذا يتجه اغلب الكتاب في أمريكا الى المسرح اكثر من السينما والتليفزيون ، لأنهم ، في المسرح ، يستطيعون ان يجسدوا افكارهم بالطريقة التي يرونها بها ، ويريدونها لها ،

[«] الدستور » ، لندن ، ٧ بوليو ١٩٨٦ .

أندريسه شسديد

زارت القاهرة الشماعرة اللبنانية الأصل اندريه شديد ، والتي تقيم في باريس منذ عام ١٩٤٨ ٠

وعبر ثلاثة لقاءات متتالية في المركز الثقافي الفرنسي في مصر الجديدة ، تحدثت اندريه شديد بالفرنسية ، أمام بضمع عشرات من الحماضرين ، عن تجربتها الأدبيسة المتنوعة ، وعلاقتها الحميمة بالتاريخ والأسطورة ، وآلقت ، بصوتها الهادىء العميق ، مختمارات من قصائدها التي تتغنى فيها بمصر وآثارها الفرعونية ، وبالحيماة والحب والوت ، وبعواطف المراة الشرقيمة ، والفن ، وتجلت في مختاراتهما الشعرية عنايتهما الفائقة بجرس الكلممات ، وإلقاعها الواضح ،

واندريه شديد مصرية الأصل تحمل الهوية اللبنانية، وتقيم بصفة دائمة فى باريس • صدر لها بالفرنسية ثلاثة عشر ديوانا شرعا سنة المورد عشر ديوانا شرعا سنة وحلم اختاتون »، ((المدينة الخصية ») ، ((اليوم السادس ») ، وثلات مسرحيات ، ومجموعتان من القصص القصيرة •

قبل عودة الشاعرة أندريه شديد الى فرنسا ، عقدت معها هــذا الحديث القصير بالانجليزية ·

سالتها : هل تلقت اجابة شافية عن واحة التساؤلات التي تثيرها في كتابتها الشعرية والروائية والسرحية ، عن الحياة، والحب ، والموت ؟

ابتسمت ابتسامة خفيفة ، وقالت :

ـ ليس من اجابة على هذه الأسئلة • ثمة اسئلة ، يطرحها الكاتب في اعماله فقط ، لكنه لا يبحث لها عن اجابة ، لاستحالة العثور على الاجابة • ويكفى انه يوقظ هذه الأسئلة الكامنة في نفوس القراء القلقة •

وتجربتك في الخلق • كيف تكتبين قصائدك ورواياتك ومسرحياتك ؟

بختلف الخلق الفنى فى طبيعت من شكل الى
 شكل ٠

فبالنسبة الى الشعر أكتبه فورا ، تحت تأثير الانفعال الذى اخضه له ، والفكرة التى تخطر فى ذهنى • ثم أراجع ما كتبت حتى يتكامل الشكل الفنى • ومثل هذه الراجعة لها ، عندى ، أهمية بالغة •

الكتابة تخرج تلقائية • لكنها تحتاج الى قدرة الصنعة والاحكام •

اما بالنسبة الى الرواية فانى قد أعايش الفكرة المامة نحو سنة أشهر أو سنة كاملة • واذا بقيت طلالها قائمة في نفسى طوال هــذا الزمن ، فانى اكتبها بعد ان تكون قد نضجت •

ولكن اذا تلاشت من ذهنى فانها تنتهى ، ولا أحاول اعادتها .

الى أى مدى تتابعين في باريس ، وبلغتك الفرنسية أو الانجليزية ، أدبنا العربي العاصر ؟

ـ اقرأ للأدباء العرب ، واذكر منهم ، هنا ، يوسف ادريس ، الذي يعد قصاصا بارعا ، ونجيب محفوظ ، وتوفيق الحكيم ، والشاعر أدونيس •

واقرأ بالفرنسية لجورج شحادة ٠

انه كاتب تتميز لغته بشاعرية عالية •

بحكم كونك شرقية تعيش في الغرب ، لا مفر من مواجهة قضية الشرق والغرب يوميا • لكن من يطالع آدبك واحاديثك يلاحظ حرصك على البجاد صيغة من صبيغ التناغم بينها ، على حين انهما قد يكونان على طرف تقيض •

ـ الانسان الذي نلتقى به في علاقات كل يوم واحد . والمساكل الانسانية واحدة . حقاً يوجه تناقض . والمحسارات تؤكد الخلافات ، ولكني أحب التناغم . ان التناغم حدث في التاريخ من خلال اختلاط الشعوب بعضها . بعض .

يجد الشاعر والكاتب نفسسه في تيمارات متعدد : بعضها كلاسيكي ينحدر من العصور الساضية ، وبعضها حديث ينبض به العصر ٠ أين تقفين بانتاجك الشسعري خاصة بين هسلم التيارات ؟

ــ شعرى ليس كلاسيكيا ، لكنه ينتمى الى الحداثة في الشكل والمعنى • وتستخدم فيه الكلمات البسيطة • والكلمات الواضحة لاتتمارض مع التعبير عن الأشهاء الفامضة في ههذا العالم • بمعنى ان التعبير يبقى واضحا ، حتى عند التعبير عن المناطق الفامضة •

تتناول بعض أعمالك التاريخ الفرعوني • كما نجد في رواية « نفرتيتي أو حلم اختاتون) . ﴿ مدينة الآفاق) •

_ لست مؤرخة · اننى اكتب فقط عن المشاكل الانسانية ، مثل الحب ، والكره ، والقتل ، كما أتصورها . متخذة التاريخ رداء خارجيا ·

واتجاهى الى التاريخ ليس كثيرا · هل يمكن أن تتعرف على ملامح حياتك ؟ (*)

... والمت وقضيت طفولتى في القاهرة ، ومصر كدولة مثالية في أرضها وشعبها تترك بصماتها العميقة على الانسان ، في سن الطفولة كنا نقضى الصيف كثيرا في فرنسا ، وفي سنة ١٩٤٣ ذهبت مع زوجي الى لبنان حيث كان يدرس الطب ، وقضيت في بيروت ثلاث سنين ، تعرفت فيها على لبنان ، وأحببتها جدا ،

وفي سنة ١٩٤٦ ذهبنا للاقامة في باريس ، بناء على اختبارنا الحر ، وحبنا المسترك لبذه المدينة ، التي تتميز بالحرية والجمال ، والتي كان لها اثرها في نفسي منذ الصغر ٠

وكنت اتطرق فى كتاباتى الى الشرق الأوسط ، ليس بسبب شعور بالوحشة ، وانما لأن روح الشرق الأوسط الشوسط الشاعرية تنبض فى عروقى • وهذه الكتابات التى اقدمها تختلط بشدمس الشرق وتعاسته ، وعظمته ، وفكاهته ، وتراجيديته •

^{(★/ ﴿} الثقافة ﴿ ءَ القاءرة ، يرثيه ١٩٨٧ ،

كيف عشــت العضـــادات المختلفـة « الشرقيــة والغربيــة » ؟

_ نظرا الأنى لم اكن منفية فى الغرب الأحس بتعاسة المنفى ، ولم أشعر بصعوبة التأقلم ، فقد عشت هذه الصارات ، وكنت أجد دائما نقط التلاقى والتناغم ، لا التنافر والتضاد • واعتقد أن الاتصال ممكن بين هذه الحضارات المختلفة • قد لا نستطيع أن ندعى أن الاتصال يمكن أن يتحقق بدون مشاكل ، ولكنه ، مع هذا ، ممكن الحدوث •

وما أشعر بالرغبة فى التعبير عنه ، تحت الصدور المختلفة للحضارات ، هو ما اعتبره أساسيا لكل شخص ولكل فن ، وهو : الموت ، الحب ، الحياة ،

هل بدأت حياتك الأدبية بالشعر ؟

_ في سن صغيرة نسبيا كنت اكتب الشعر فقط ، واستمرت كتابة الشعر بعد ذلك لمدة عشر سينوات ، من السابعة عشرة الى السابعة والعشرين ، عن الكون بما يمور فيه ، وعن تواحيه الغامضة ، الكامنة في كل انسان ، والبحث عن مخارج مختلفة لقلق الإنسان وحيرته ، والشعر هو أحد هيذه المخارج أو النوافذ التي تتطلع من خلالها الى السمو والكمال • ولأن الشعر يعبر عن الحرية، وليس له حدود ، يستطيع الشاعر أن يسيطر عليه سيطرة كاميلة •

هل الشعر بالنسبة اليك الهمام أم صنعة ؟

ــ فى بعض الأحيان يهب الالهام للفنان ما لا يهبه اى شىء آخر • لكن هذا لا ينتقص من قيمة الصنعة ، فليس من الكافى أن يعتمد الشاعر على الالهام فقط ، بل يجب أن يضم هــذا الالهام فى قالب متقن احتراما للقارىء • وبذلك يقدم ، بصورة وبأخرى ، عمــلا متــكاملا لفن بلا قيود ، الالهام فيه ليس كل شىء •

والشعر يلبى نداء النفس الانسانية ، الا أن الالهام يعد أحد مكوناته ومتطلباته ٠

يجب على الشاعر أن يتلقى اللغة ، ويغير فيها ، ويطوعها لفكره ، حتى يصل الى التعبير الجيد عن الغموض الطبيعى للحياة ، ويفى به • وهذا كله يتطلب الجد ، والعناية والوضوح • ومثل البحث يؤكد الغناء والنفم اللذين يكونان نسيج الكون •

قمت بعد ذلك بكتابة القصص ؟

بدون أن أترك الشعر كتبت قصصا قصيرة وروايات وذلك لأنى أريد أن أكون أقرب للواقسع اليومى ، وللأشخاص الآخرين ، حتى المس أيديهم ووجوههم ، بمعنى أن المس مشاكلهم وسعادتهم ، مأساتهم ومرحهم ، وأن كنت أشك في هذا التوصيف ، وفي مدى الاقتراب من المنهج السيكولوجي .

كنت أريد أن أتكلم بنفس الصدوت ، فى القصدة والروايدة ، عن الأشدياء اليوميدة ، والاستمرارية ، عن الأشياء المعنوية الزائلة ، فالحياة تضم هذا وذاك ، وأن أعبر عن هذه الأشياء بلغة بسيطة مباشرة . من خلال معالجة الرواية كانها اسطورة .

وفى كل عمل روائى يخامرنى احساس او رغبة أن أضمع على رأس كتبى نفس العبارة التى استخدمتها فى كتاب « اليوم السادس » وكتابى الأخير « السلالم على الرمال » التى قالها أفلاطون ومعناها أن القارىء يعتقد أن ما يقرؤه خرافة ، والحقيقة أنه قصة واقعية ،

على ان اتخاذ الموضوع والمكان من مصر يدنجنى بعدا نغسيا ، ويقربنى من جذور الإشياء · ولو ان هـــذا يتم بالطبع بصورة طبيعية غير مفتعلة ،

وماذا عن السرح ؟

- المسرح حلم قديم ، أثناء وجودى فى المدرسة ، وخلال دروس الحساب ، كنت أخبىء المسرحيات فى الكراديس ، قرأت بشغف جميع الأشكال المسرحية ، وكانت تعد قراءتى المفضلة ، بعد ذلك كتبت بشغف كهاوية مسرحيات كثيرة ، وكان اعجابى بالمسرح الاغريقى بلا حدود ، كما كان اعجابى شديدا بشكسبير ، موليير ، تشيكوف ، وبعد ذلك بيكيت ،

کنت متخوفة جدا من کتابـــة المسرحیات ، الی أن تجرأت ، بعد بلوغ سن الأربعین ،وخضت غمارها ، وکتبت ثلات مسرحیات ، واحدة وراء الأخری .

وهذه المسرحيات قدمتها الى فرق الشبباب المسرحية ، واتبع لى أن أرى أمام عيني الكلمات التي اكتبها ٠

ما هي موضوعات هذه السرحيات ؟

_ فى معظم الأحيان تدور حول لعبة السلطة وجوانبها المضحكة ، وجوانبها المأساوية ، كما أنها تعكس الضعف والقوة فى الحب والحياة ، والأشكال المختلفة للارادة الإنسانية ،

ما مدى ايمانك بمستقبل الكتابة ؟

ــ اومن بمستقبل كل شيء · وعندى ثقة كاملة في النهن الابتكارى للانسان ، وقدرة الكلمة على البقاء ·

نحن لا نزال في بداية الرحلة ، ولو أن طاقتنا ليست كبيرة ، ونفسنا ليس طويلا ، ونظرتنا تقف عند الحدود ·

ولكن سيجى، فى المستقبل جيل آخر يتمتع بحدود اكبر فى النظر ، ويهتدى الى تحديد أكبر من حيث الصورة، والكلمة ، والتقنية ،

ه الاتوار ۲ ، بيروت ، ۲۵ ايريل ۱۹۸۲ -

للمؤلف

((العمارة الانسانية للمهندس حسن فتحى)) مكتبة الأنجار المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ·
((مواقف ثقافية)) مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠ ·
ـــ. ((س عد اردش رجل السرح)) دار الف للنشر ، القامرة ، ١٩٨٥ ·
ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
((تَجِيبِ محفوظ حياته وأدبٍ)) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦ ·
ــــ (حسين عفيف)) الكتبــة الثقافية (٤٠٦) ، ١٩٨٦ ٠
ــــ (توفيق التحكيم)) (۱۸۹۸ ــ ۱۹۸۷) الكتبــة الثقافية (۲۲۶) ، ۱۹۸۷ ·

.... « وداعاً توفيق الحكيم »

بالاشتراك ، المركز القومي للاداب . القاهرة ، ١٩٨٨ ·

__ ((مهلكة الشعراء))

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٨ •

.... ((الذكرى المنوية للفنهان محمد ناجي » (١٨٨٨ ...

اعداد ، المركز القومي للفنون التشكيلية ، القاهرة ، ١٩٨٩ •

.... ((التراث المفقدود))

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٠ .

.... « العبث والواقع : مسرح محمد سلماوي »

اعداد وتقديم ، دار ألف للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

... ((القاعد الشاغرة في الثقافة العربية))

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣ · (طه حسن ومعاصروه))

.. ۱۶ مه حسین وسعیامروه ۱۱

كتاب الهـــلال ، ما يو ١٩٩٤ .

. اعادة اكتشاف الناقد أحمد راسم))

الهيئة المصرية العامة للكتاب بالتعاون مع الجمعية المصرية لنقاد الفن التشكيلي ، ١٩٩٥ ٠

... « الكتابة مهنه مقدسة »

المكتبة الثقافية (١٩٥٥ ، ١٩٩٥ .

الفهيرس

الصفحة						
٣	•••	***	***	•••	•••	مقدمــة
11	***	•••	***	•••	•••	هــوميروس
10		***	•••	•-•		هسسيود
19	•••	***	•••	•••	•••	اسځیلیوس
74	***	•••	***	•••	***	ارستوفائيس
77	***	***	***	***	***	ســــقراط
۲7	***	•••	•••	•••	***	فرجيليوس وتيبول
40	***	•••	***	***	•••	أوقيـــه
23	•••	•••	•••	•••	***	القمديس باسيليوس
#3		•••	•••	•••	•••	مــوليير
٥٣	•••	***	•••		***	وردزورث

۲٤<u>١</u> (الكتابة)

المبفحة

70	•••	•••	•••	***		•••	دو لردج
11	•••	***	***		•••	•••	بودلىر
77	•••	•••	•••	•••	•••	•••	دوستو يفسكي
٧١	•••	•••	•••	***	***		وامېسسو
۷٥	•••	•••	•••		••	•••	ســـينج
.٧٩	•••	•••	•••	***	•••	•••	محمد اقبال
۰. ۳۸	•••	a*a a	•••	•••	•••	•••	کافدیکا
۸۷	***		•••		•••	•••	لويس ماســينون
11	•••	•••	•••	•••		•••	فرانسوا وورياك
90	•••		•••	•••	•••	•••	ايفو اندرنتش
٠.,	•••			•••	•••	٠.	ما ياكو فسكى
۰۰)	:**	•••	٠	***	•••	•••	يســــني
1 • 9	•••	***	•••	•••		•••	محمسه عاكف
118	•••	•••	•••	•••	***	***	اندريه مالــــرو
171							ناظمم حكبت
177	•••		***			کی	نيكولاى استروفس

الصفحة

144	•••	•••	•••	•••	***		شــولوخوف
124	•••	•••	•••	•••	•••	***	جمورج شمحادة
131	•••	•••	***	•••	•••	***	البرتو مورافيا
100		•••	• • • •	•••	•••	•••	ماكس فريش
171	•••	•••	•••	***	•••	4	آرثر ميالر
175	•••	•••	•••	•••	• •		كايزين كــولييف
141	•••	•••					دورينمــات
١٨٧					•-		تشيينوا اتشيبي
198	•••	•••	•••	•••	•••	•••	يفتوشسنكو
7 • 5		•••	•••	•••	•••	•	رسول حمزاتوف
777		•••	•••	•••	•••	***	ادوار البسى
444							

ı

.

رتم الايداع ١٩٩٦/٢١٢٧

الترقيم الدولى 7 -- 4675 -- 10 -- 1.S.B.N. 977

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

لاتغتنى الثقافة القومية، وتصل إلى أرفع مستويات الابداع إلا بفتح النوافذ على الثقافات الأجنبية، ومعرفة التراث الإنسانى القديم والحديث، والتفاعل مع قيمه وعناصره الخالدة

والكتابة مهنة مقدسة، يعرف القراء بأسماء كتاب وشعراء ونقاد وفلاسفة من الآداب اليونانية واللاتينية والأوربية والآسيوية والأفريقية .. تجمع بين المخلية والعالمية، وبين الوعى بالتاريخ والحس الدقيق بالعصر، يقدمها نبيل فرج بنفس المنهج والأسلوب الذي يكتب به عن النقافة العربية، والأدباء العرب.